UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190718

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ف - ع / ١٩٢٤٤ Accession No. ١٨٠٢٠

Author الحوفي، احمد محمد

Title المكافحة في الأدب

This book should be returned on or before the date last marked below.

ات الجمعية الثقافية المصرية باشراف الأستاذ عمر الدسوقي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم

الكتاب الثانى من هذه السلسلة :

«الفكاهة فى الأدب — الجزء الثانى»

بقلم

الدكتور احمد محمد الحوفى

ملتزم الطبع والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

فى حياة الأفراد والجماعات مراحل من الكدّ والجدّ قد تصل بهم إلى النَصَب والإجهاد ، ولو طال الزمن بنَصَبهم وإجهادهم لبلغ بهم إلى السَّأم والملال . فلم يكن بُدٌّ من فترات تتخلل ساعات العمل المضْنِى ، أو التفكير المتصل ، يتخفف فيها العاملون والمفكرون من أثقالهم ، ومن قسوة أعمالهم . بل إن ذوى البطالة كثيرا ما يَمَلون البطالة ، ويَضِيقون بالفراغ الخاوى ، ويشعرون بالحاجة إلى سماع نغمات جديدة تجدِّد نشاطهم ، وتُضْفِى على حياتهم الراكدة ألوانا من الجِدَّة .

وخير ما يتجدد به نشاط هؤلاء وأولئك هو الضحك والفكاهة ، لافرق فى ذلك بين بُداة ومتحضرين ، ولا بين علماء وجهّال ، ولا بين كبار وصغار .

ولست أنكر أن بعض الناس قد يتسلون عن عملهم المرهق بعمل آخر ، كأن يقضى أحدهم ساعة فى سماع الغناء أو الموسيقى ، أو فى قراءة قصة أو قصيدة ، أو يقصد إلى مَجْلىً من مجالى الطبيعة ، أو يذهب إلى دار من دور الخيالة ، وكأن يَتَحلَّق ذوو الفراغ حول مائدة من موائد النَّرْد أو الورق ، ولقد يجد بعض الناس فى أنواع الألعاب مسلاة لهم وتنشيطا .

وتهوى إليه جماعة ولا تميل إليه جماعة . أما الضحك والفكاهة فقسط مشترك بين الجميع ، لا يعزف عنه أحد إلا لضرورة قاهرة ، لا طاقة له بالخروج على أحكامها وإلزامها .

— ٢ —

والأدب العربى حافل بالفكاهة فى عصوره المختلفة ، وهذه الفكاهة جديرة بالدراسة والتحليل ، لما فيها من إيناس وإمتاع وإضحاك ، ولأن فى كثير منها طرافة فى الفكرة ، ومهارة فى التعبير والتصوير ، على أن بعضها كان صدًى للنظام السياسىّ والاجتماعىّ ، ومن هنا نعتبره مصورا للحالة السياسية والاجتماعية .

لكن هذه الفكاهة لم تدرس فى أدبنا العربى — فيما أعلم — وكل حظها من عناية من عَرَضوا لها من المؤلفين أنهم نثروا ألوانا منها فى مؤلفاتهم ، مفرقة أو مجموعة ، وأعظم ما نالت من عناية أن بعضهم قسمها إلى أنواع باعتبار قائليها ، فهذا قسم لفكاهات القضاه ، وذا قسم لفكاهات المتنبئين ، وذاك قسم لنوادر الأذكياء أو النساء أو البخلاء الخ .

أما تقسيمها إلى أنواع حسب أصولها وخصائصها وبواعثها ، وأما دراستها دراسة تحليلية تكشف عن مصادرها ومضامينها ومراميها ، فإن ذلك لم يكن من حظها ، وفصارى علمى أنه لم يتحقق إلى اليوم .

— ٤ —

كانت هذه الخواطر تتساوق إلى نفسى إذا ما قرأت فكاهة ، وكانت تتوارد علىّ فى أحيان كثيرة سمعتُ فيها أن أدبنا العربى جاف عابس ، وكنت آمل أن أنهض بدراسة للفكاهة تغاير نظرة القدماء إليها ، وترد عن الأدب العربى اتهامه بالعبوس ، لكن الشواغل كانت تصرفنى عن التفكير العازم ، إلى أن اقترح على صديقى الأستاذ عمر الدسوقى أن أساهم

فى السلسلة الأدبية بدراسة مّا ، فوثب الأمل القديم إلى خاطرى ، واخترت الفكاهة فى الأدب موضوعا لدراستى .

— ٤ —

أما الخطة التى سلكتها فى الدراسة فهى أنى قرأت كثيرا من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والنوادر، لأجمع المادة المبعثرة، ثم اجتهدت فى تقسيمها إلى أنواع، يرجع كل نوع منها إلى أصل واحد ، كالغفلة والتغافل ، والتناقض ، والدعابة ، والتهكم ، والرّد بالمِثْل الخ .

ورأيت أن كل نوع من هذه محتاج إلى تأصيل وتقعيد وبناء على أصل نفسى أو اجتماعى ، فرجعت إلى علم النفس والاجتماع والحضارة لتحقيق ما رأيت .

وقد حلّلت فى كل نوع نماذج عده ، ثم أتبعتها بكثير من الأمثلة التى تجرى مجراها .

وتوخيت فى ترتيب أنواع الفكاهة التدرج بها من السطحى إلى العميق إلى الأعمق ، على قدر ماهدانى إليه تفكيرى واجتهادى ، لذلك بدأت بالغفلة، وانتهيت بالتهكم السياسى والاجتماعى ، وبينهما أنواع متدرجة فى الترقى .

وراعيت فى إيراد الأمثلة غير المحلّلة أمرين : أحدهما أن أسايرالزمن من القديم إلى الحديث ، والآخر أن أذكر فى آخر كل نوع ما وقفتُ عليه من الفكاهة المصرية، متتابعة مرتبة ترتيبا زمنيا .

ثم خصصت الفكاهة المصرية وحدها بدراسة مفصلة فى فصل موضوعه (ما وراء الفكاهة) تعرضت فيه لدلالة الفكاهة العامة لغوية ونفسية ، ثم وضحت دلالتها السياسية والاجتماعية فى مصر بصفة خاصة .

على أنى أعلن أن الفكاهة المصرية ما زالت فى حاجة إلى دراسة مفردة مفصَّلة ، لأنها كثيرة ، وغزيرة ، ولها طابعها الخاص وروحها اللطيف .

— ٥ —

وبعد

فقد اقتضت ظروف السلسلة الأدبية أن تكون كتبها فى حجم خاص ، وأن يخرج (الفكاهة فى الأدب) فى جزأين ، هذا أولهما ، أما ثانيهما فهو مُعَدّ للطبع ، وموعد ظهوره قريب ، إن شاء الله .

القاهرة / رمضان ١٣٧٥
/ ابريل ١٩٥٦

أحمد محمد الحوفي

تمهيد

نريد قبل أن ندرس أنواع الفكاهة وأصولها أن نبين ماذا نعنى بالفكاهة ، وأن نعرف الظروف الملائمة للفكاهة وللضحك ، ثم نوضح أثر الفكاهة والضحك فى حياة الفرد وحياة المجتمع ، وحاجة الناس إلى أن يضحكوا ويتفكهوا ، وإلى أى حد مدح العرب الضحك ، وذموا العبوس ، وكيف كان العظماء يضحكون ويفاكهون ، ثم نبين رأينا فى النفر الذين ذموا الفكاهة ، وآثروا التزمت .

الفكاهة فى اللغة

الفكاهة من معانيها فى اللغة المزاح ، والرجل الفَكِهُ هو الطيب النفس المزَّاح ، يقال : فكّهتهم بمُلَح الكلام ، أى أطرفهم ، والاسم الفَكيهة والفُكاهة[1] .

والدُّعابة : هى المزاح واللعب والمضاحكة[2].

والمَرْح والمِزاح: الدعابة ونقيض الجِد[3]، وهو أيضاً المُزاح والمُزاحة[4].

والهَزْل والهُزَالة : الفكاهة[5] .

والتهكم : هو الاستخفاف والاستهزاء والعَبَث[6].

والسخرية : هى الاستهزاء ، والسُّخْرة والضُّحْكة[7].

---

(١) لسان العرب مادة فكه والمخصص لابن سيده ١٩/١٣

(٢) لسان العرب مادة دعب والمخصص ١٩/١٣

(٣) اللسان مادة مزح (٤) المخصص ١٩/١٣ (٥) المخصص ١٩/١٣

(٦) لسان العرب مادة هكم (٢) اللسان مادة سخ .

وإذاً فسندرس الغفلة والتغافل والتناقض والتخلص الفكه والدعابة والمزاح والهزل والتهكم والسخرية واللعب المعنوى واللعب اللفظى، على أن كلا منها فكاهة ، إذا كان مثيراً للضحك ، لأننا نريد بالفكاهة كل باعث على الضحك من فنون القول ، وإن اختلف الاسم .

متى نضحك ؟

هل نضحك من كل أمر مثير للضحك بغض النظر عن مصدره وملابساته ؟

١ — لا . فإن الذى يضحكنا لا بد أن يكون إنسانياً ، من إنسان ، أو إلى إنسان، أو عن إنسان . وقد عرف الفلاسفة هذه الحقيقة منذ زمن بعيد ، فعرّفوا الإنسان بأنه حيوان ضاحك . وهذا حق ، لكنه ليس الحق كله ، لأن الإنسان حيوان ضاحك ، وحيوان مضحك أيضاً .

فكثيراً ما نشاهد فى الحيوان مناظر لا نضحك لها ، ولو أنها صدرت عن إنسان لأضحكتنا[1] .

وفى كثير من الأحيان تدور الفكاهة حول إنسان هو المتحدث نفسه .

ومن هنا لجأ بعض القُصَّاص إلى الفكاهة فى أسلوبهم المسرحى ، ليبرزوا أفكارهم ، لأن الكاتب لا يستطيع أن يبرز أفكاره فى رموز مجرّدة ، بل يلجأ إلى إبرازها فى أحداث وعلى ألسنة أشخاص يراهم المشاهدون ويسمعونهم .

لذلك يحق لنا أن نقول إن الشعب المولع بالفكاهة مولع أيضاً بالمسرح الهزلى .

وإننا لنعلم أن الشعب المصرى كُلِّف بالنكتة منذ زمن بعيد ، ونعلم أن المصريين عرفوا المسرح الهزلى فى صورة الأراجوز وخيال الظل .

---

(١) الضحك لبرجسون ١٤

٢ — ولا بد فى المضحك أن يتجرد من إثارة انفعالاتنا وعواطفنا ، كالرحمة والشفقة والخوف والدهشة والإعجاب ، لأن الكلمة المضحكة أو المنظر المضحك لا يضحكنا إلا إذا كانت نفوسنا خالية هادئة غير مبالية ، وإلا إذا نظرنا إليه بعين العقل لا بعين العاطفة .

وإذا كنا قد نضحك مما يبعث فينا عاطفة أو انفعالا ، فإننا فى هذه الحالة نُغَلِّب الضحك عليها ، فيتجه مثير الضحك إلى عقولنا أكثر من اتجاهه إلى عواطفنا « وإن محتمعاً مؤلفاً من عقول محضة ربما لا يبكى أبداً ، ولكنه يظل يضحك . أما النفوس المتأثرة دائماً ، المتصلة بأوتار الحياة ، فإنها تهتز للحوادث هزات عاطفية ، ولذلك لن تعرف الضحك ، ولن تفهمه »[1] .

وقديماً تنبه أرسطو إلى هذه الحقيقة ، إذ قرر أن المقصود بالهزل أو المزاح تمثيل الصِّغار من غير غضب يقترن بهذا التمثيل ، ومن غير إيلام للمحاكَى . لذلك قال إن المستهزىء تَتَّسم سحنته بالفرح والانبساط ، لا بالانقباض والغم والأذى[2] .

وإذا كان الغرض من الفكاهة ليس هو الإضحاك والضحك فحسب ، وإنما هو — فى كثير من الحالات — التقويم والتهذيب والإصلاح ، بنقد أنواع من النقص أو القبح أو الخروج على المألوف ، فإنه يشترط فى هذا النقد ألا يجرح كما يجرح الهجاء .

كذلك العيوب أو الصفات المثيرة للضحك ، ليست كلها على درجة واحدة ، لأن بعضها جسيم الضرر بصاحبه ، وبعضها خطر على المجتمع ، وهذه وتلك لا تبعث الفكاهة ، وإنما تثير السخط أو الإشفاق أو غيرهما من العواطف المنافية للمسرة والضحك .

---

(١) الضحك لبرجسون ١٥

(٢) فن الشعر لأرسطو من ترجمة ابن سينا ١٧٤

ولهذا ذهب أفلاطون إلى أن الجهل — لكى يضحك — يجب ألا يكون مؤذيا للآخرين[١] .

٣ — على أنه ليس من الشائع أن يضحك إنسان وحده ، مهما يكن مبعث الضحك قويا . ولقد يبتسم وحده ، لكنه لا يضحك ، ولا يقهقه . فإذا كان فى جماعة من الناس ضَحِكَ وقهقه ، وإن كان مثير الضحك أضعف مرات مما لم يضحك منه منفرداً .

والحق أننا لا نضحك ونحن فى عزلة ، لأن الضحك اجتماعى فى حاجة إلى صدًى وتجاوب . لهذا يكثر الضحك ويعلو فى المجتمعات العامة والخاصة ، وكلما كان الجمع كثير العدد وحدث فيه ما يضحك كانت قهقهته أقوى ، وضحكاته أعلى . وهذا هو الذى يشاهَدُ فى دور الخيالة والمسرح .

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة الجاحظ منذ زمن بعيد ، إذ قصَّ حادثاً عرض له ، وضحك منه ، وقال : « فما ضحكت قطّ كضحكى تلك الليلة ، ولو كان معى من يفهم طَيِّبَ ما تكلم به (محفوظ النقاش) لأتى علىَّ الضحك ، أو لقَضَى علىَّ ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب[٢] » .

ثم جاء برجسون فوافق رأيه رأى الجاحظ ، لأنه ذهب إلى أن الضاحك لا بد له ممن يشاركه ويجاوبه ، حتى يتأثر بالأمر المضحك « لأننا لا نتذوق المضحك فى حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك فى حاجة إلى صدًى[٣] » .

٤ — وثمة حقيقة أخرى : أن الفكاهة لا تستملح من كل شخص ، وإنما

---

(١) فى الشعر لأرسطو . من ترجمة عبد الرحمن بدوى ١٦

(٢) البخلاء ٢/٤٦ طبعة وزارة المعارف .

(٣) الضحك لبرجسون ١٥

تستملح من الشخص الفكه ، الموهوب ، البارع فى تصويرها والتعبير عنها وتمثيلها .

وكثيراً ما تحتاج إلى البديهة المُسْعِفة ، والجمل القِصار ، واللفظ الخفيف ، حتى لقد يَفْرُغ القائل منها فى الوقت الذى يبدأ فيه السامعون أو القارئون يلمحونها ويضحكون منها . وكثيرا ما تعتمد على تخيل يربط بين متناقضين ، أو يذكر يثير للضحك ، أو يُجَسِّم المعنى ويضخمه .

الحاجة إلى الفكاهة والضحك

من الذى يستطيع أن يتصور الحياة كلها عابسة مقطِّبة الجبين مكفهِرَّة المظهر ؟

وإذا كان تصورها هكذا مستطاعا — وهو لا شك مستطاع — فمن الذى يطيقها ويرضاها ؟

إن الحياة بغير ضحك عبء ثقيل لا يُحْتَمل ، وهى بغير فكاهة تثير الضحك جافَّةٌ مُمِلّة مملولة .

وسبب هذا أنها ملأى بالمشقات والمتاعب والآلام ، والضحك هو المتَنَفَّس الذى يخفف ضغطها ، ويُنْسِى همومها ، ويُلْقِى بعض أثقالها ، ويُحَرِّر من قيودها الثقال رمناً يطول أو يقصر .

ومن هنا كان الضحك نزعة غريزية لها قيمة عظيمة فى حفظ حياة الفرد وحياة المجموع . وقد تطورت هذه النزعة من ضحك تثيره أمور عارضة إلى ضحك تثيره أمور مقصودة مُعَدَّة ، كما نرى فى التمثيل الهزلى والملاهى المكتوبة والتنكيت الذى يُعَدُّ إعداداً .

فللضحك أثره الحيوى فى الفرد وفى المجتمع .

١ — أما أثره فى الفرد فإنه يتناول نفسيته وأعضاءه . فقد اعتبره الفلاسفة مظهرا من مظاهر السرور والانشراح ، أو وسيلة لترويح النفس من متاعب العقل ، أو تنفيسا عن الطاقة الحيوية الزائدة على الحاجة ، أو سلسلة أعمال عكسية تساعد على تشنج الحجاب الحاجز وتقوية الجهاز الصوتى والتنفسى .

ومن رأى الفيلسوف (سبنسر) أن الإنسان يستنفد بالضحك ما يتجمع عنده من طاقة حيوية زائدة ، مستدلا على ذلك بضحك الأولاد . ولكن رأيه هذا مردود ، لأن الطبيعة لديها وسائل كثيرة للتخلص من الطاقة الزائدة بالحركة واللعب ، فليست فى حاجة إلى طريقة أخرى معقدة كالضحك .

وافترض الفيلسوف (هوبز) أن الشىء المضحك لا يخلو عادة من نقص فى تركيبه ، أو تشويه يحط من قيمته فى نظرنا ، فهو إذاً يثير فى نفوسنا شعورا مجائيا بسمُوِّنا عليه ، وبعظمتنا .

ثم جاء مكدوجل فأثبت أن الضحك غريزة مهمة ، وذهب إلى أن الضحك يستخدم الأعصاب والعضلات ، فلا بد أن تكون له فوائد حيوية هامة ، منها إحداث تفاعلات بدنية — تنفسية ودموية وإفرازية — تساعد على تجديد النشاط الحيوى ، وتولد الشعور بالصحة ، وتزيل الانقباض النفسى . وأهم من ذلك أن الضحك يغير مجرى التفكير ويجدده بطريقة تمنع الملل والكآبة ، وتحدث الراحة العقلية ، وكثيرا ما يفعل الضحك فى الضاحك فعل الدواء فى المريض . فللضحك إذاً فائدتان : فائدة فسيولوجية ، وفائدة نفسية[1] .

على أنه ذهب إلى أن الأمور المضحكة ، والأحداث المثيرة للضحك، هى العلاج الناجح الذى يخفف من وطأة المصائب الصغار ، حتى لا يرزح الإنسان تحت صدمات المصائب الكبار .

---

(١) فى علم النفس ١ / ١١٥

٢ — وأما آثاره الحيوية فى المجتمع فهى قائمة على أن الناس مترابطون فى سرائهم وفى ضرائهم ترابطا اجتماعيا ونيقا بطريق المشاركة الوجدانية ، وهذه المشاركة ذات حدين ؛ لأنها الدعامة التى لايتم تكوين المجتمع الإنسانى بغيرها، ولكنها مع ذلك تحملنا على التألم لألم جيراننا وإخواننا والإشفاق عليهم ، والرثاء لحالهم . ثم إن للإنسان متاعبه الفردية الخاصة التى ينوء بها ، فإذا أضاف إلى متاعبه متاعب الناس صغيرة وكبيرة ، صارت المشاركة الوجدانية عبئا ثقيلا ، وصارت أداة للهدم والأذى وإضعاف القوة الحيوية ، بعد أن كانت وسيلة للاجتماع والبناء . فكان لزاما أن نستنبط الطبيعة حلا لهذا المشكل ، وعلاجا شافيا ، وهذا العلاج — كما يقول مكدوجل — هو الضحك .

وضرب مكدوجل أمثلة على هذا ، منها أننا نضحك إذا وقعت لقمة من فم إنسان حين يأكل ، لكننا نبكى إذا وقع الصغير من فوق الشجرة فانكسر . وكذلك نضحك إذا أصاب النجار إصبعه إصابة خفيفة ، لكنا نتألم إذا قطع المنشار يده[1] . فالضحك إذاً وسيلة للتنفيس والتخفيف واسترداد النشاط والاقتدار على الحياة فى المجتمع .

لكن برجسون ينسب للضحك وظيفة اجتماعية أخرى غير هذه ، موجزها أنه قصاص وتقويم .

فنحن حينما نضحك من المقصر أو الشاذ المطهر ، أو صاحب الغفلة ، أو الشحيح أو المغرور فإنما نؤدبهم بطريق غير مباشر ، أى أننا نؤدى خدمة اجتماعية هامة .

فمثلا يجرى رجل فى الشارع ، فيعثر ، فيسقط ، فيضحك المارة . أغلب الظن أنهم ما كانوا ليضحكوا لو أن هذا الرجل قعد فى الطريق مختارا ، ولكنهم ضحكوا لأنه اضطر إلى القعود مكرها . وإذا فليس تغير وضعه بغتة هو الذى

(١) فى علم النفس ١ / ١١٨

يضحك ، بل المضحك أن التغيير ليس إراديا ، لأن وهدة فى الطريق هى التى أسقطت الرجل ، أو حجرا هو الذى لوى قدمه ، وكان عليه أن يتنبه ليتفادى الوهدة أو الحجر ، أو كان عليه أن يقاوم السقوط فلا يقع ، لكنه لم يفعل ذلك، إما لنقص فى مرونته ، أو لذهول فى حواسه ، أو تصلب فى أعضائه ، أو لسرعة مستمرة فى مشيته ، فى الوقت الذى كان يقتضى أن ينقص من سرعته ، فسقط ، فضحك المارة .

كذلك إذا تصورنا شخصا يمارس أعماله كلها حتى صغارها فى حركات منتظمة آلية ، فيعاكسه صديق له بأن يفرغ المداد الذى فى دواته ، ويضع بدله طينا .

ومثل هذين الذاهل الذى يفكر فيما قد فعل لا فيما يفعل ، ويرى ما لم يوجد بعدُ ، ويسمع مالم يصوِّت بعد، ويقول ما لا يناسب المقام . وكذلك بعض العيوب الخلقية تشبه صلابة الجسم والفكر .

نحن نضحك من هؤلاء ومن أشباه هؤلاء ، لأنهم مصابون بالآليةوالتصلب، والمجتمع السليم يتطلب الانتباه واليقظة والمرونة فى الجسم والفكر والطبع ، ليكون كل عضو فيه قديرا على أن يلائم بين حالة والموقف الذى هو فيه . فالقوة والمرونة هما اليدان المتكاملتان اللتان تستخدمهما الحياة . فإذا أعوزا الجسد كانت الأمراض والعاهات ، وإذا أعوزا الفكر كانت آفات النفس ، وإذا فقدهما الطبع كان التخلف عن الفضائل الاجتماعية ، والشذوذ عن الناس .

ولا شك أن المجتمع ينفر من التصلب بأنواعه ، وإن لم يكن فيها ضرر بالجماعة ، أو فيها ضرر طفيف . لكنه لايستطيع أن يقاوم التصلب بالقوة ، وهو فى الوقت نفسه لا يريد أن يدعه وشأنه ، وحينئذ فلا مناص من إنذار

يوجهه المجتمع إلى الفرد المتصلب ، إنذار بالحركة أو بالإشارة أو بالكلمة ، وما هذا الإنذار إلا الضحك[١] .

فالضحك إذاً قصاص وتقويم وإعدد لمجتمع قوى سليم .

عناية المؤلفين بالفكاهة

ولقد أكثر المؤلفون العرب من الحديث عن ضرورة الفكاهة ، وبيان آثارها ، وإدماج كثير من الفكاهات فى كتبهم الجادة والهازلة ، وتحدثوا عن الضحك كثيراً .

فالجاحظ يقول فى مقدمة كتابه البخلاء : « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تَبَيُّنُ حجة طريفة ، أو تَعرُّفُ حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة ، وأنت فى ضحك منه إذا شئت ، وفى لَهوٍ إذا مللتَ الجدَّ .

ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك ، وقبيحا من المضحك ، لما مِيلَ للزهرة والحِبَرَة[٢] والحُلى والقصر المبنى كأنه يضحك ضحكا . وقد قال الله جل ذكره : « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا » فوضع الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت . وإنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيحَ ، ولا يَمُنُّ على خلقه بالنقص . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيرا ، وهو شىء فى أصل الطباع وفى أساس التركيب ، لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى ، وقد تطيب به نفسه ، وعليه يربت شحمه ، ويكثر دمه الذى هو علة سروره ومادة قوته[٣] ... »

---

(١) المسرحية ٢٤٣ والضحك ٢٤

(٢) ثوب يمانى من قطن أوكتان مخطط

(٣) البخلاء ١ /٢٧

ونلاحظ أن الجاحظ ذهب إلى أن الضحك عريزة ، وإلى أنه ذو أثر فى الجسم والنفس ، فهو والعلامة مكد وجل متفقان فى هذه النظرة .

وقال : « وإن كنا قد أملناك بالجد ... فإنا سننشطك ببعض البطالات ، ونبد كر العلل الطريفة ، والاحتجاجات الغريبة . فرَبَّ شعر يبلغ بفرط غباوة صاحبه مالا يبلغه أحرُّ النوادر وأجمع المعانى . وأنا أستظرف أمرين استظرافا شديدا : أحدهما استماع حديث الأعراب ، والأمر الآخر احتجاج متنازعين فى الكلام ، وهما لا يحسنان منه شيئا ، فإنهما يثيران من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان وإن تشدد ، وكل غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب[1] ... »

وقد طبق هذا فى مؤلفاته كلها ، حتى عُرف أن من خصائص أسلوبه مرج الجد بالفكاهة .

وذهب أبو حيان التوحيدى إلى أن « النفس تَملّ . كما أن البدن يَكلّ . وكما أن البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا قلتْ ظلبت الرَّوْحَ[2] وكما لابد للبدن أن يستمدَّ ويستعيد بالطعام[3] كذلك لا بد للنفس من أن تطلب الرَّوْح عند تكاتف الملل الداعى إلى الحَرَج[4] ... » . وقد طبق هو نفسه هذا فختم بعض مجالسه بفكاهة ، فى كتابه الإمتاع والمؤانسة . بل لقد جعل مجلسه فى الليلة الثامنة عشرة فكاهات ومجونا ، وقال على لسان الوزير « تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر . فإن الجدَّ قد كدَّنا ، ونال من قوانا ، وملأنا قبضا وكربا ، هات ما عندك ... »

ودافع عن هذا بقوله : « وربما عيب هذا النمط كل العيب . وذلك ظلم ،

---

(١) الحيوان ٣/٧ (٢) الراحه (٣) الراحة .

(٤) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ١/٢٧

لأن النفس تحتاج إلى بِشْر . وقد بلغنى أن ابن عباس كان يقول فى مجلسه بعد الخوض فى الكتاب والسنة والفقه والمسائل : « أَحْمِضُوا » وما أراه أراد بذلك إلا تعديل النفس لئلا يلحقها كلال الجدّ ، ولتقتبس نشاطا فى المستأنف ، ولتستعد لقبول ما يردُ عليها فتسمع[1] » .

فهو إذاً يتخذ من الفكاهة وسيلة للضحك وبعث السرور والنشاط ، وإعداد النفس للتلقّى والاستيعاب .

وجاء فى مقدمة عيون الأخبار لابن قتيبة : « وسينتهى بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة ، وما رُوِى عن الأشراف والأئمة فيهما ، فإذا مرّ بك — أيها المتزمت — حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجبُ منه أوتضحك له ، فاعرف المذهب فيه ، وما أردنا به .

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك ، فإن غيرك ممن يَترَخّصُ فيه تشدَّدْتَ فيه ، محتاج إليه . وإن الكتاب لم يُعملْ لك دون غيرك ، فيُهيأ على ظاهر محبتك . ولو وضع فيه تَوَقّى المتزمتين لذهب شطرُ بهائه ، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك[2] .

فالفكاهة فى رأى ابن قتيبة عامل من عوامل الاستمالة ، ولون من ألوان الجمال فى كتابه .

أما ابن عبد ربه فقد رأى أن « الفكاهات والملح نزهة النفوس ، وربيع القلب ، ومَرْتعُ السمع ، ومَجلَبُ الراحة ، ومعدن السرور ، واستدل على ضرورتها بحديث للنبى صلى الله عليه وسلم ، وبكلمة لعلى بن أبى طالب[3]

(١) الإمتاع والمؤانسة ٢/٦٠ (٢) مقدمه عيون الأخبار لابن قتيبة ل
(٣) العقد الفريد ٣ / ٣٠٦

ويطول القول إن عرضنا لما قال المؤلفون من أدباء العربية ، فحسبُنا ما قال هؤلاء ، وما قال النويرى فى مقدمة الباب الذى عقده للمجون والنوادر والفكاهات والملح : « هذا الباب مما تنجذب النفوس إليه ، وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحة للنفوس إذا تعبت وكَلَتْ ، ونشاطاً للخواطر إذا سئمت وملَّتْ ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال ، فإذا عاهدتها بالنوادر فى بعض الأحيان ، ولاطفتها بالفكاهات فى أحد الأزمان ، عادت إلى العمل الجِدِّ بنشطة جديدة ، وراحة فى طلب العلوم مديدة » ونقل عن العقد الفريد حديث النبى وكلمة علىّ بن أبى طالب[١] .

ولا شك أن أستاذ هؤلاء جميعاً الجاحظ ، وأنهم متأثرون به ، محاكون له . وقد سبقهم بتصويره الرائع للبخلاء فى كتابه (البخلاء) ، وسبقهم إلى إيراد فكاهات شتى فى كتبه كلها وفى رسائله ، حتى كان المؤلفون يتخذون من دستورهم فى التأليف أن يُحَلوا كتبهم بألوان من الفكاهات ، بعضهم يذكرها فى مناسبات ، وبعضهم يعقد لها باباً أو فصلا من الكتاب . وقد بلغ ببعضهم الكَلَفُ بالفكاهة — ومنهم الجاحظ — إلى ذكر فكاهات عارية مكشوفة ، ولم يروا فى ذلك بأسا ، لأن غرضهم الإضحاك ، وتنشيط القراء .

مدح الضحك والفكاهة

وقد كان العرب يحبون الضحك ، ويحبون الضاحكين ، لذلك سموا أولادهم بالضحَّاك ، وببسَّام وبطَلْق وبطليق . وإذا مدحوا الرجل قالوا : هو ضحوك السِّن ، وبسَّام العَشِيَّات[٢] ، وهش بش إلى الضيف . وإذا ذموا الرجل قالوا :

---

(١) نهاية الأرب ٤/١

(٢) كناية عن كرمه وترحيبه بالضيوف إذا جاءوا تعسون عنده وقت العشيه .

هو عبُوسٌ ، وهو كالحٌ[١] ، وهو قَطوبٌ[٢] ، وهو شتيم المحَيَّا[٣] ، وهو مُكْفهِرٌ[٤] ، وهو كريهٌ ومُقَبَّض الوجه[٥] ، وحامض الوجه[٦] ، وكأنما وجهه بالخَلِّ منضوح[٧] .

وإنا لنجد ذلك فى كثير من الشعر ، فخراً ومدحا .

فمن الفخر بالهشاشة والضحك والفكاهة قول الشاعر :

أُهازلُ حيث الهَزْلُ يَحْسُنُ بالفتى وإنى إذا جدَّ الرجال لذو جِدِّ

وقال رجل لابن عُيَيْنة : المزاح سُبَّة .

فقال له : بل سُبَّة لمن لا يحسنه . وأنشد :

يا ساعتى فى مجـــونى فد رِطِبْتُ فيك ورِطِبْت
إنى إذا ضاق صدرى قطعت بالسُّخْف وقتى[٨]

وقال شاعر :

إنمـــا للنـاس منـا حُسْنُ خُلْقٍ ومِزاح
ولنـــا ما كان فينا من فساد وصـــلاح[٩]

وقد أرسل ابَانَ بن عبد الحميد قصيدة إلى الفضل بن يحيى ، ليعرفه بنفسه ، ويعدد له مزاياه ، وكان منها أنه فكِهٌ ظريف المزاح :

أنا من بُغْيَةِ الأمير وكَنْزٌ من كنوز الأمير دو أرباح

---

(١) عابس مكشر (٢) زاو ما بين عينيه (٣) كريه الوجه
(٤) عابس (٥) مقطب (٦) مقطب
(٧) البخلاء للجاحظ ١/٢٧ والعقد الفريد ٣/٣٠٨
(٨) محاضرات الأدباء ١/١٧٨ (٩) العقد الفريد ٣/٣٠٨

كاتب حاسب خطيب أديب ناصح راجح على النصّاح
شاعر مُفْلِقٌ أخف من الريشـــة مما يكون تحت الجناح
وظريف الحديث من كل لون وبصـــير بحاليات ملاح
كم وكم قد خَبَأْتُ عندى حديثاً هو عنـــد الملوك كالتفاح
كل ذا قد جمعت والحمـــد للـــه على أننى ظريف المزاح
لستُ بالناسك المشمِّر ثَوْبَيْـــه ولا الماجن الخليع الوَقاح[1]

ومن المدح قول الشاعر .

إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرصاك جِدُّه ودو باطل إن شئت ألهاك باطله

وقول الآخر :

الجِدُّ شيمته وفيـــه فكاهة طَوْراً ولا جِدّ لمن لا يَلْعَبُ

وقول الآخر :

هوالظَّفِرُ الميمون إن راح أو غَدَا به الرَّكْبُ والتَّلْعابةُ المتحبِّبُ

لهذا أوصوا بالفكاهة وبالضحك ، كقول أبى الفتح البُسْتِيّ :

أَعِدْ طبعك المكدودَ بالهمِّ راحةً فليلا وعَلِّله بشىء من المَزْحِ
ولكن إذا أعطيته المرح فليكن بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

عظماء يضحكون

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم والعظماء من السلف يضحكون ويتفكهون ، ويطربون للفكاهة .

---

(١) الأغانى ٢٠/٧٥ وديوان أبى نواس ١٦

كان رسول الله يضحك حتى تبدو نواجذه ، وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : لاخير فيمن لا يُطْرِب ولا يَطرب[١]

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَت[٢] .

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : « يدخل عثمان الجنة ضاحكا ، لأنه كان يضحكنى » . وذلك أن النبي دخل عليه وهو ارْمَدُ ، فوجده يأكل تمرا ، فقال له : أتأكل تمراً وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل من الجانب الآخر . فضحك النبي حتى بدت نواجذه[٣] . وهو الذى كان يجد سُوَيْداء تلعب بين يدى عائشة وتضحكها ، فيضحك . ثم إنه افتقدها ، فقال : يا عائشة ، ما فعلت السويداء ؟ قالت : إنها مريضة ، فذهب إليها يعودها ، فوجدها فى الموت . فقال لأهلها : إذا توفيت فأخبرونى . فلما توفيت أخبروه ، فشهدها ، وصلى عليها ، وقال : اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكنى ، فأضحِكْها فَرَحاً[٤] .

وكان الفَكِهون من أصحابه يضحكونه حينما يَحْسُنُ الإضحاك والضحك . من هؤلاء نُعَيْمان أحد أصحابه البدريين ، فقد كان مَزَّاحا ، ومن مزاحاته مع الرسول أنه أهدى إليه جَرَّة عسل اشتراها من أعرابى ، وجاء بالأعرابى إلى باب النبي فقال له : خذ الثمن من ها هنا . فلما قسّمها النبي نادى الأعرابىُّ : ألا أُعْطَى ثمنَ عسلى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إحدى هَنَات نُعَيْمان . وسأله : لم فعلت هذا ؟ فقال : أردت بِرَّك يا رسول الله ، ولم يكن معى شىء

---

(١) نهاية الأرب ٤/٢ والعقد الفريد ٣/٣٠٧

(٢) العقد الفريد ٣/٣٠٦ ونهاية الأرب ٤/١

(٣) العقد الفريد ٣/٣٠٧ (٤) العقد الفريد ٣/٣٠٧

فتبسم النبي ، وأعطى الأعرابي الثمن[١] .

ولم يكتف الرسول بالطرب إلى المزاح ، بل كان هو نفسه يمزح مزاحا يليق بجلال النبوة . فمن مزاحه قوله لرجل استحمله : نحن حاملوك على ولد الناقة ، يريد البعير . وقوله لامرأة من الأنصار : الحقي زوجك ففي عينه بياض . فسعت المرأة نحو زوجها مرعوبة . فقال لها : ماذا دهاك ؟ فقالت : قال لي رسول الله إن في عينك بياضا . فقال : إن في عيني بياضاً لا لسوء .

وأتته عجوز أنصارية فقالت : يا رسول الله ، ادْعُ لي بالمغفرة ، فقال لها : أما علمتِ أن الجنة لا يدخلها العُجُز . فصرخت ، فتبسم صلى الله عليه وسلم ، وقال لها : أما قرأت قوله تعالى : « إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكارا عُرُباً أترابا[٢] » .

كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صَبِيٍّ . وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله[٣] .

فكان عليه الصلاة والسلام يمزح ، لكنه لا يقول إلا الحق ، لهذا نجد الفكاهة المروية عنه كلها من التورية أو الكناية .

ومن هنا كان سفيان على حق في رده على من قال له : المزاح هُجْنةٌ ، بقوله : لا ، بل سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : إني لأمزح ، ولا أقول إلا الحق[٤] .

وكما ضحك رسول الله ومزح ضحك الصالحون ومزحوا[٥] .

---

(١) نهاية الأرب ٤/٤ (٢) نهاية الأرب ٤/٣
(٣) لسان العرب مادة (فكه) (٤) نهاية الأرب ٤/٢
(٥) البخلاء للجاحظ ١/٢٧

واشتهر على بن أبى طالب بدعابته . وبحبه للفكاهة[١] . روى عنه قوله : «أجموا هذه القلوب، والتمسوا لها ظرف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان . والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوينى ، جانحة إلى اللهو ، طالبة للراحة . فإن أكرهتها أضنيتها ، وإن أهملتها أرديتها »[٢] .

وروى عن عطاء بن السائب قوله : كان سعيد بن جبير لا يقص علينا إلا أبكانا بوعظه ، ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه[٣] .

وكان أبو هريرة المحدث المشهور والصحابى الجليل أحفظ أصحاب الرسول لله لأحاديثه[٤] ومع ذلك كان كثير المزاح والدعابة . ولقد حدث أن كان مروان يستخلفه على المدينة ، فيركب حماراً قد شد عليه بردعة ، وفى رأسه حمل من ليف ، فيسير به ، فيلقى الناس ، فيقول : افسحوا الطريق ، قد جاء الأمير . وربما مرّ بصبيان يلعبون لعبة الغراب ، فلا يشعرون به حتى يلقى بنفسه بينهم ، ويضرب برجليه الأرض ، فينفرون وقال الجزرى فى (النهاية) فى حديث بعضهم :رأيت أبا هريرة يلعب بالسِّدْر — لعبة معروفة — . وكان يجيد لعبة الشطرنج .

وكان أبو الأسود الدؤلى من الشعراء والمحدثين والفقهاء والفرسان والعلماء والدهاة ، وقد تولى العمل لعمر وعثمان وعلى ، وتولى القضاء بالبصرة ، وهو إلى ذلك كله كان كثير الدعابة ، حلو النادرة[٥] .

وكان أبو دُلامة شاعراً زاحم الشعراء فى جميع فنونهم ، لكنه فاقهم بنكاته الحلوة ، وفكاهاته الظريفة ، ونوادره المضحكة .

---

(١) اللطائف والطرائف فى الأضداد للثعالبى ٥٩ (٥) العقد الفريد ٣/٣٠٦ ونهاية الأرب ٤/١ (٣) اللطائف والطرائف للثعالبى ٥٩ (٤) الإصابة ٧ / ١٩٨ (٥) الأغانى ١١/١٠١

وكان عبيد الله بن محمد المشهور بابن أبي عَتيق شاعراً ظريفاً ، وفكهاً لطيفاً ، وكانت عمته السيدة عائشة تحبه وتضحك من فكاهاته .

وكان الأعمش (أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى) محدث الكوفة فى زمانه ، روى عنه أربعة آلاف حديث ، وكان فصيحاً مكثراً من الرواية لا يلحن حرفاً قال عنه أبو بكر بن عياش : كنا نسمى الأعمش سيد المحدثين ، وهو مع ذلك كان مشهوراً بالمزاح والفكاهة اللطيفة وحسن النادرة .

وكذلك كان الأصمعى الراوية الكبير ، والحسن بن وهب الكاتب الشاعر المجيد الذى كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وتولى ديوان الرسائل .

وبلغ الكَلَفُ بالفكاهة إلى أن وجدها هشام بن عبد الملك أطيب الحديث ، فى قوله : قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعما ، وشممت الطِّيب حتى ما أحد له رائحة ، وما وجدت شيئاً ألذَّ من حليس تسقط بينى وبينه مئونة التحفظ[1] .

القصد فى المزاح

عرفنا أن العرب كانوا يحبون المزاح ، ويطربون للفكاهة ، ويمدحون الهشاشة ، ويفخرون بالطلاقه والبشاشة .

وعرفنا أن النبي صلى الله عليه وسلم وبعض العظماء من صحابته كانوا يمزحون ويضحكون .

لكنا مع ذلك نجد كلمات منسوبة لبعض حكماء العرب ، تُنَفِّر من المزاح ، وتُبَغض الفكاهة ، مثل : المزاح يُذهِب المهابة ، ويورث الضغينة والمهانة .

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٧ ونهاية الأرب ٤/٢

ومثل : المزاح سباب النَّوْكَى[1] . ومثل : المزاح يوجب الشرَّ صغيرُه ، والحربَ كبيرُه . ومثـــل قول ابن المعتز : من كثر مزاحه لم يزل فى استخفاف ، به وحقد عليه .

وقول أبى نواس :

قد صار فى النـــاس جِدّاً ما مزحت به
كم مازحٍ صار بين النـــاس مذمومـــاً

وقول آخر :

أما المزاح والمراء فذرهما حُلقان لا أرضاهما لصديق[2]

وسأل الحجاج ابنَ القِرِيَّة عن المزاح فقال : أوله فرح ، وآخره تَرَح . وهو نقائض السفهاء ، مثل نقائض الشعراء .

وقيل لا تمازح صغيراً فيجترئ عليك ، ولا كبيراً فيحقد عليك .

وقال شاعر :

وإياك إياك المـــزاح فإنـــه
يُجَرِّى عليك الطفلَ والدَّنس النـذلا

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يكون المزاح إلا من سخف أو من بَطَر .

وقال الشاعر :

لا تعرضنَّ بمـــزح لامرئ طَبِنٍ
مارامـــه قلبـــه أجراه فى الشّفة

---

(١) الحمقى (٢) اللطائف والظرائف للثعالبى ٥٩

فربَّ مَخْرمةٍ بالمزح جاريةٍ
مشبوبة لم يُرَدْ إنماؤها نمت[1]

فكيف نوفق بين هذا وذاك ؟

ليس تباين الآراء فى المزاح أو الفكاهة أمراً محالا أو منكراً ، لأن الناس مختلفون فى مزاجهم ، ومختلفون فى تقديرهم ، وفى حكمهم على الأشياء .

وليس من الطبيعى أن يكون الناس كلهم ذوى صدور رحبه ، ونفوس منشرحة ، تهش للفكاهة وللضحك ، فمنهم المنبسطون ، ومنهم المنقبضون ، ومنهم الظرفاء ، ومنهم المتزمتون .

وهؤلاء الذين ذموا المزاح من طبقة المتزمين ، الذين أرادوا الحياة عابسة ، أو أرادتهم الحياة عابسين .

ولقد يكون من بواعث سخطهم على الفكاهة وعلى الضحك أنهم لم تكن لهم مقدرة على التفكيه فنقموا على المتفكهين ، أو أن بعض المتفكهين اتخذوهم هدفاً لهم ، فآلموهم .

ولقد يكون مَرَدُّ ذلك إلى أن هؤلاء وجدوا الفكاهته قد انحدرت فى زمنهم إلى دَرَكٍ يتنافى مع الكرامة والضحك البرىء .

فهذا شاعر يشكو من إيلام صديقة له فى فكاهة بقوله :

لى صاحب ليس يخلو لسانه من جِراحى
يُجِدُّ تمزيقَ عِرضى على طريق المزاح

لهذا كان القصد فى المزاح أليقَ بالضحك وبالضاحك .

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٧٧ — ١٧٨ .

وكان النهج السليم هو ما اختطه سعيد بن العاص فى قوله لابنه : « افتصد فى مزاحك ، فالإفراط به يذهب البهاء ، ويجرىء عليك السفهاء ، وتركه يقبض المؤانسين ، ويوحش المخالطين »[١] .

وقول الجاحظ : « وللمَزْح موضع ، وله مقدار ، متى جاورهما أحد ، وقصرَّ عنهما أحد ، صار الفاضل خَطَلا[٢] والتقصير نقصا . فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر ، ولم يعيبوا المزاح إلا بقدر . ومتى أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشىء الذى له جُعِل الضحك ، صار المزاح جداً ، والضحك وقاراً[٣] » .

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٧٨

(٢) نقصاً وخطأ

(٣) النجلاء ١/٢٩

الغفلة والتغافل

١ — الغفلة ضربٌ من الغباء أو البلادة ونقص الذكاء والجهل بصواب الأحكام وسلامة التعبير .

ودو الغفلة لايشعر بغفلته ، بل لعله يظن فى نفسه البصيرة والألمعية والزكانة ، ويحسب الضاحكين منه هم المغفلين أو الأغفال .

وجهلُ ذى الغفلة بغفلته هو الذى يضاعف ضحك الناس منه ، لأنهم يعرفون مابه ، ولا يعرف هو ما بنفسه ، فكأنه كما يقول (برجسون): «يستخدم طاقية الاستخفاء بطريقة معكوسة ، فإذا هو يحتجب عن نفسه ، ويبين لكافة الناس »[1] ولو أن أصحاب الغفلة شعروا بغفلتهم ، لحاولوا علاجها باليقظة ، ولظهروا فى مظهر آخر وإن مؤقتا ، فقلَّ إضحاكهم .

ومن هنا كانت الغفلة من بواعث الضحك ، لأن المغفل يفاجىء الناس بغير ما يتوقعون ، فهو يرى ما ليس موجوداً ، ويسمع ما ليس ملفوظاً ، وينطق بما لا يوافق المقام ، لأنه فى وادٍ والناس فى وادٍ ، هو فى عالم الخرافة والخيال والوهم ، والناس فى عالم الحقيقة والواقع ، ولهذا يفاجئهم بغير ما يتوقعون ، فيضحكهم .

وأعظم ما يضحك الناسَ من ذوى الغفلة أن تشتهر عنهم ، وتسايرهم طيلة حياتهم . ذلك بأنه كلما كان المضحك طبيعياً كان الضحك منه أكثر ، لأن

---

(١) الضحك لبرجسون ٢٢

نفوس من يرونه لا تعاندهم فى هـذه الحال ، ولا توحى إليهم بأن المضحك متكلف متصنع .

وهذا هو السرُّ فى أن المغفلين يثيرون فى ناظريهم ما لا يثيره محاكوهم .

٢ — أما التغافل فهو تصنع الغفلة . فلقـد يكون الشخص عاقلا أريباً ، لـكنه يتغافل ، فيخال الناس أنه ذو غفلة .

وللتغافل أسباب شتى ، منها التَّقيَّة وسَتْرُ ما بالنفس ، فراراً من العقاب أو الاضطهاد أو التهمة . ومنها السخرية بالناس ، إذ لا يروقهم العقل وصواب الرأى ، فيكافئهم العاقل بمجاراتهم فى نقص عقولهم ، فيتغافل . ومنها سوء ظن الناس بالرجل العاقل ، فينسبون إليه الغفلة . ومنها رغبة الشخص العاقل فى أن يُفكـه الناس ، أو يتقرب إليهم ، أو ينال عَوْنهم وعطاءهم .

لهذا رد الحمدونى الشاعر على من لاموه فى حمقه بقوله : حماقة تَعولُنى خيرٌ من عقل أعوله . وأنشد :

عذلونى على الحماقة جهـلا ... وهى من عقلهم ألذّ وأحلَى

حُمقِىَ اليومَ قائمٌ بعيالى ... ويموتون إن تعـاقلتُ ذُلا

وكثيراً ما سخط العقلاء حظهم ، وتبرم الأدباء بنصيبهم من الحياة ، فمدحوا التغافل والتحامق ، ودعوا إليه .

قال شاعر :

تحامَقْ مع الحَمْقَى إذا ما لقيتهم

ولاقهم بالنَّوْك فِعْلَ أخى الجهـل

وَخلّـط إذا لاقيتَ يوما مُخَلِّطا
مُخَلِّطُ فى قول صحيح وفى هَزْل
فإنى رأيت المرء يَشْقَى بعقله
كما كان قبل اليوم يَسْعَدُ بالعَقـل

وقال آخر :

وأنزلنى طولُ النَّـوَى دار غربة إذا شئت لا فيت امرأ لاأشاكله
فحامقتهُ حتى يقال سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقل لكنت أعامله

وقال عَقيل بن عُلّفة (أو ماحد الأسدى) :

وللدهر أيام فكن فى لباسه كَلِبْسَتِه يوما أَجَدَّ وأَحْلَقا
وكن أكيس الكَيْسَى إذا ما لقيتهم
وإن كنتَ فى الحمقى فكنت أنت أحمقا[1]

٣ — عرفنا أن التغافل غيرُ الغفلة ، لكن آثارهما واحدة ، فالفكاهة التى تضحكنا من المغفل ، كالفكاهة التى تضحكنا من المتغافل ، لأن طابعها واحد .

ومن بواعث الضحك من الغفلة أو التغافل أن يتحدث الشخص عن نفسه جنونياً كأنما شخص آخر هو الذى يتحدث عنه .

من ذلك أن هَبَنقَّة وضع فى عنقه قلادة من وَدَع وعظام وخَزَف ، وقال : حسبت أن أضل عن نفسى ، ففعلت ذلك لأعرفها . وفى ليلة أخذ أخوه قلادته فتقلدها ، فلما أصبح ورأى القلادة فى عنق أخيه قال : يا أخى ، أنت أنا ، فمن أنا ؟[2] .

---

(١) البيان والتبيين ١/٢٤٥ (٢) أخبار الحمقى ٢٢ ومجمع الأمثال للميدانى ١/١٩٩

ومن الغفلة هذا المثال من فكاهات الغرب :

سأل صحفى مارك توين :

— هل لك أخ ؟

— نعم وكنا نسميه (بيل) . مسكين يا بيل !

— إذاً لقد مات .

— هذا ما لم نستطع معرفته . إن هناك سراً يحيط بهذا الأمر .

لقد كنت أنا والتوى توأمين . وفى اليوم الخامس عشر من عمرنا وضعونا فى وعاء واحد لنستحم ، فغرق أحدنا ، ولم يعرفوا من منا الذى غرق . فبعضهم قال : إنه بيل ، وبعضهم قال : إنه أنا .

— غريب . ولكن ما رأيك أنت ؟

— اسمع . سأفضى إليك بسرٍّ لم أكشف عنه لأحد . لقد كان لأحدنا علامة خاصة هى شامة كبيرة فى ظهر يده اليسرى ، وهذا الواحد هو أنا ، وهو نفسه الذى غرق[1] .

٤ — ولقد يضحكنا من الغفلة أنها تخليط مُرَكَّب ، كذلك الرجل الذى سئل عن مولده فقال : ولدت رأس الهلال ، للنصف من رمضان ، بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شئتم[2] .

٥ — ونضحك من الغفلة لأن صاحبها لاهٍ عما تدركه حواسه كلها ، كأنه غائب عنه بعيد .

---

(١) الضحك لبرجسون ١٢٧

(٢) البيان والتبيين ٤/١٥ ونهاية الأرب ٤/١٧

من ذلك أن مغفلا خرج من منزله يحمل على عاتقه صبياً عليه قميص أحمر ، ومشى به، ثم نسيه . فجعل يقول لكل من يراه : أرأيت صبياً عليه قميص أحمر ؟ فقال له أحدهم : لعله هذا الذى تحمله على عاتقك . فرفع رأسه ، ولطم الصبى ، وقال له : يا خبيث ، ألم أقل لك إذا كنت معى فلا تفارقنى .

فهو لم يكتف بأنه كان فى غفلة عنه وهو على عاتقه ، بل أضاف إلى ذلك أن وصفه بالخبث ، وبمعصية أمره ، لأنه فارقه ، كأنما كان الصبى قد فارقه .

٦ — ومن بواعث الضحك فى الغفلة أن يتحدث المغفل حديثاً يظن به أنه يقرر حقيقة ، أو يفيد جديداً ، فإذا بحديثه بديهية عامة ليست محتاجة إلى قول .

من ذلك أن مبيضة بن المهلَّب بن أبى صُفْرة خطب وهو خليفة أبيه على خراسان ، فأتاه كتابه ، فقال : هذه كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى[1] .

٧ — على أن الغفلة قد تظهر فى أن يتحدث ذو الغفلة جديثاً لا يلائم الحالة التى يتحدث فيها ، وكلما كان الحديث بعيداً عن الملاءمة وأدل على الغفلة كان أبعث على الضحك ، أو إثارة الضحك .

من ذلك أن رجلا عاد مريضاً فقال له : ما علتك ؟ قال وَجَع الركبة .فقال الرجل : إن جريراً يقول بيتاً ذهب عنى صدره ، وآخره هو : وليس لداء الركبتين دواء . فقال له : ليتما ذهب عنك صدره مع نَفْسك[2] .

٨ — وكثيراً ما تبعث الغفلة الضحك ، لأن صاحبها يقيس قياساً خاطئاً

---

(١) البيان والتبيين ٢/٢٤٩ (٢) محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ .

حيث لا يصح القياس ، لأن الأمر طبيعى لا خلاف فيه ، ولا قياس .

فقد سأل رجل رجلا طويل اللحية : إيش اليوم ؟

فقال : والله ما أدرى ، فإنى لست من هذا البلد . أنا من دير العاقول[1] .

ومن مظاهر التغافل التى تجرى هذا المجرى أن أبا دلامة دخل على أم سلمة المخزومية زوجة السفاح ليعزيها فى وفاته ، وهو يبكى ، وأنشدها قصيدته فى رثائه . فلما أتم إنشادها قالت له : ما أصيب أحد بالسفاح غيرى وغيرك . فقال لها : لم يصب به أحد سواى . أنت لك ولد منه تتسلين به ، وأنا لا ولد لى منه . فضحكت أم سلمة ، ولم تكن ضحكت منذ مات زوجها ، وقالت له : يا زَنْد (هذا هو اسمه) أنت لا تدع أحداً إلا أضحكته[2] .

٩ — وإذا ما اشتهر شخص بالغفلة أو التغافل دارت القصص حوله ، ونسبت النوادر إليه ، صحيحة ومنحولة ، لأنه رمز لذلك الضرب من الفكاهة .

وقد حدث ذلك فى عيوب أخرى كالبخل والطمع ، فقد كان أشعب بن جُبَيْر عاقلا ، روى الحديث ، وتعلم الغناء ، ونظم الشعر ، لكنه اشتهر بالبخل والطمع ، ومن هنا دارت فكاهاته حول الشَّرَه والبخل ، وأنس أهل المدينة بفكاهاته وملحه وحيله وعجائب أمره . وهم على ذلك كانوا يقدرونه ، يدل على ذلك أن مَعْبدا المغنى كان يقول : عليكم بأشعب ، فإنه أحسن متى تأدية للغناء .

---

(١) أخبار الحمقى ١٤٢ إيش : أى شىء

(٢) دوو الفكاهة فى التاريخ ٧٢

وكانوا يقولون : تغير كل شيء فى الدنيا إلا مُلَحَ أشعب ، وخبز أبى الغَيث ، ومِشْيَة بنت سعد ، لأنها كانت من أجمل النساء وأحسنهن مِشْية .

كذلك تغافل بعض العقـــلاء مثل جحا وعُلَيَّان بن أبى مالك وغيرهم فجعلوا أمثلة للغفلة .

ففى ترجمة عليان أنهم أطلقوا عليه عُلَيَّان الممرور ، وأنه أحد عقلاء المجانين بالبصرة ، بلغ به الأدب لدرجة جعلت العلماء فى زمانه يرغبون فى سماع كلامه البليغ ، والاستفادة من حسن جوابه ، والاقتباس من حلو روايته ، والأنس بجميل فكاهته . فقد كان بصيراً بجيِّد الشعر ، وما يتعلق بالشعراء من أخبار وتاريخ ونقد .

قال الحسن الكوفى : قال رجل لعليان : أُجِنِنْتَ ؟ قال : أما عن الغفلة فنَعَمْ ، وأما عن المعرفة فلا .

أمثلة أخرى

* قال أشعب : جاءتنى جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك . فجعلته تحت الفراش . فجاءت بعد أيام تنظر الدينار ، فقلت : ارفعى الفراش . وخذى ولده . وكنت تركت إلى جانبه درهما . فتركتْ الدينار وأخذت الدرهم . وعادت بعد أيام ، فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته . وعادت فى الثالثة كذلك . فلما جاءت الرابعة تباكينُ ، فقالت : مايبكيك ؟ قلت : مات الدينار فى النِّفاس . فقالت وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت : ياحمقاء . تُصَدِّقين بالولادة ، ولا تصـــدقين بالنفاس؟ [1] .

* رويت عن أشعب نوادر كثيرة دالة على الطمع ، وحكيت عنه نوادر حامعة

---

(١) فوات الوفيات ١/٢٢

بين الطمع والتغافل، منها قوله : مازُفَّت امرأة فى المدينة إلا كنست بيتى، وفتحت بابى ، رجاء أن تُهْدَى إلىّ[١] .

* وروى عنه قوله :

أرى دخان حارى فَأَرُدُّ الخبز لعمل الثّريد [٢] .

* وقوله :

ما رأيت اثنين يتسارّان فى جنازة إلا قدّرتُ أن الميت أوصى لى بشىء[٣].

* وقوله:

مرّ برجل يعمل طبقا ، فقلت له : وسِّعه ، فربما يشتريه من يهدى إلىّ فيه شيئا[٤] .

* وقوله :

أضجرنى الصبيان يوما ، فأردت أن أشغلهم ، فقلت لهم : إن بموضع كذا عرسا ، فامضوا إليه . فلما مضوا ظننت أنى سَدَدْتُهم ، فتبعتهم [٥].

* وقوله :

تبعت الضحاك بن مخلد وهو يريد منزله ، فالتفت إلىّ ، وقال: مالك يا أشعب؟ قلت: يا أبا عاصم ، رأيت قلنسوتك قد مالت ، فتبعتك ، لعلها تسقط ، فآخذها . فنزعها من رأسها وأعطانيها .

---

(١) الأغانى ١٧/١٠٣ وفوات الوفيات ١/٢٢

(٢) فوات الوفيات ١/٢٢ (٣) فوات الوفيات ١/٢٢ والأغانى ١٧/١٠٣

(٤) فوات الوفيات ١/٢٢ (٥) الأغانى

* قال رجل : تزوجت امرأة مخزومية ، عمها الحجاج بن الزُّبَيْر الذى هدم الكعبة[١] .

* قال رجل عن أبيه : ذلك لم يكن أبا ، إنما كان والدا[٢] .

* سمعت امرأة أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة ، فصامت إلى الظهر ، ثم أفطرت ، وقالت : يكفينى كفارة ستة أشهر ، منها شهر رمضان[٣] .

* قيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين ؟ فقال : أربعة أرغفة[٤] .

* قال القَلاّس القاص : كان أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثمائة وستين درهما[٥] .

* دخل رجل على آخر يأكل أُتْرُجَّةَ بعسل ، فأراد أن يقول السلام عليكم فقال عسَلَيْكُم[٦] .

* قال عَيَّاش بن القاسم لأبى عبد الملك الذى كان يقال له عَنَاق : بأى شىء ترعمون أن أبا علىّ الأسوارى أفضل من سلام أبى المنذر ؟ (من أصحاب القراءات غير السبع) قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو علىّ لم يذهب سلام فى جنازته[٧] .

* قيل لمؤذّن : ما نسمع أذانك ، فلو رفعتَ صوتك ، فقال : إنى أسمع صوتى من مسافة ميل[٨] .

* خطب عَتّاب بن وَرْقاء ، فحث على الجهاد ، فقال : هـــذا كما قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) البيان والتبيين ٤/١٥ (٢) المرجع السابق (٣) المستطرف ٢/٢٢١
(٤) البيان والتبيين ٢/١٧٨ (٥) ذيل زهر الآداب ١٥٧ (٦) البيان والتبيين ٢/١٧٨
(٧) البيان والتبيين ٢/٢٣٤ (٨) المستطرف ٢/٢٢٠

كُتب القتـــل والقتال علينـــا وعلى الغانيـــات جَرُّ الذيول[١]

* سأل أبو عون رجلا عن مسألة ، فقال له : على الخبير بها سَقَطْت . لقد سألتُ عنها أبى ، فقال لى : سألت عنها جَدَّك ، فقال : لا أدرى[٢] .

* عاد رجل مريضا . فقال لأهله : آجركم الله . فقالوا : إنه حى لم يمت بعد. فقال : يموت إن شاء الله[٣] .

* عاد رجل مريضا لم يكن به بأس ، فقال : لاضير ، إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه ، فقد كان أبى مريضا بهذا الداء فمات[٤] .

* اصطحب أحمقان ، وبينما كانا يمشيان فى الطريق يوما قال أحدهما للآخر : تعال نتمنى . فقال : أتمنى أن يكون لى قطيع من الغنم عدده ألف . وقال الآخر: أتمنى أن يكون لى قطيع من الذئاب عدده ألف ، ليأكل غنمك . فغضب الأول وشتمه الآخر . ثم تضاربا . فمر بهما حجا ، وسألهما: ما بالكما ؟ فحكيا لهما قصتهما ، وكان حجا قد حمَّل حماره فدرين مملوءين عسلا ، فأنزل القدرين ، وكبّهما ، وقال: أراق الله دمى مثل هذا العسل ، إن لم تكونا أحمقين[٥] .

* خرج أبو شيبان للحج ، فبكى أبناؤه حوله ، فقال : لا تبكوا يا بَنِىَّ ، فإنى أريد أن أضحىّ عندكم[٦]

* مات لابن مُقَرِّن غلام فى طاعون ، فحفر أعرابى قبرا للغلام بدرهمين . فلما أعطوه الدرهمين قال : دعوهما عندكم ، حتى يجتمع لى معكم ثمن ثوب[٧] .

---

(١) البيان والتبيين ٢/٢٣٥
(٢) ذيل زهر الآداب ٧٢ (٣) محاضرات الأدباء ١/٧٢ (٤) المرجع السابق
(٥) مضحك العبوس ٤٢ (٦) البيان والتبيين ٤/٢١٥ (٧) البيان والتبيين ٤/١١

* اشترى باقل عبرا بأحد عشر درهما ، وجرها بحبل فى يده ، فسئل : بكم اشتريت العير ؟ ففتح كفيه ، وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه . يريد أنه اشتراها بأحد عشر درهما . فشردت العير منه ، وضاعت .

وفيه يقول الشاعر :

يلومون فى حمقه باقلا كأن الحماقة لم تُخْلَقِ

فلا تكثروا العَدْل فى عِيِّه فللصَّمْتُ أجمل بالأَمْوق

حروج اللسان وفتح البنان أحبُّ إلينا من المنطق[1]

* مات والد جحا ، فقيل له : اذهب واشتر الكفن . فقال : أخاف أن أشترى ، فتفوتنى الصلاة عليه[2] .

* أعطى رجل ابنه درهما وقال له : زِنْه . فطرح وزن درهمين ، وهو يحسبه وزن درهم . فلم يتعادل الوزنان ، فألقى على الدرهم حبتين . فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شىء ، وهو ينقص حبتين[3] .

* سمع جحا رجلا يقول : ما أحسن القمر ! فقال : إى والله ، خاصة بالليل[4] .

* مر جحا بجماعة وفى كمه خوخ ، فقال لهم : من أخبرنى بما فى كمى فله أكبر خوخه فيه . فقالوا : خوخ . فقال : ما أخبركم بما فيه إلا ابن سافلة[5] .

* مرّ عيسى بن موسى الهاشمى على جحا وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا ، فقال له : مالك يا أبا الغصن ؟ قال : إنى قد دفنت فى هذه الصحراء دراهم ،

---

(١) المحاسن والمساوىء ١٠٢ الأموق : الأحمق (٢) أخبار الحمقى ٢٧
(٣) البيان والتبيين ٤/٢٥ (٤) أخبار الحمقى ٢٨ (٥) أخبار الحمقى ٢٧

ولست اهتدى إلى مكانها . فقال عيسى : كان يجب أن تجعل عليها علامة . قال : قد فعلت . قال : ماذا ؟ قال : سحابة فى السماء كانت تظلها ، ولست أرى العلامة الآن[1] .

* خرج حُجا من منزله يوما فى الليل ، فعثر فى دهليز منزله بقتيل ، فضجر به ، وجرّه إلى بئر منزله ، فألقاه فيها . وعلم أبوه ، فأخرج القتيل وغيّبه ، وخنق كبشا حتى قتله ، وألقاه فى البئر . ثم إن أهل القتيل طافوا فى سكك الكوفة يبحثون عنه ، فتلقاهم حجا ، فقال : فى دارنا رجل مقتول ، فتعالوا انظروا ، أهو صاحبكم ؟ فعدلوا إلى منزله ، وأنزلوه فى البئر . فلما رأى الكبش ناداهم ، وقال : ياهؤلاء ، هل كان لصاحبكم قرن ؟ فضحكوا ومرّوا[2] .

* اشترى غندرُ سمكا وقال لأهله : اطبخوه . وبام ، فأكل عياله السمك ، ولطخوا يده فلما صحا قال : هاتوا السمك . فقالوا : قد أكلت . قال : لا . قالوا : شم يدك . فشمها ، وقال : صدقتم ، أكلتُ ولكنى ماشبعت[3] .

* جاء أعرابى إلى المسجد ، والإمام يخطب . فقال لرجل من القوم : ماهذا ؟ قال له : دعوةٌ إلى الطعام . قال : فما يقول الذى على المنبر ؟ قال يقول : إن الأعراب لا يرضون أن يأكلوا حتى يحملوا معهم بعض الطعام . فتخطى الأعرابى الناس حتى دنا من الخطيب ، فقال له : ياهذا ، إن الذين يفعلون ماتقول سفهاؤنا[4] .

* رأى رجل منارة الجامع ، فقال : ما كان أطول الذين بنوا هذه المنارة .

---

(١) جمهرة الأمثال لأبى هلال ١/ ١٥٠ وفى نهاية الأرب أنه ابن خلف الهمدانى لاجحا .
(٢) جمهرة الأمثال ١/ ١٥٠ (٣) أخبار الحمقى ١٢٢
(٤) عيون الأخبار ٢ / ٥٧ .

فقال آخر : اسكت ، ما أجهلك ، هل رأيت أحدا فى الدنيا فى طول هذه المنارة ؟ لقد سووها على الأرض ، ثم رفعوها[١] .

* رأى رجل فى منامه أن له عنبا ، وكأنه يُعْطَى منها ثمانية ، ففتح عينيه ، فلم ير شيئا ، فغمض عينيه ومدّ يده ، وقال : هاتوا أربعة أربعة[٢] .

* دُعى بعض المغفلين إلى وليمة ، فحمل الناس يأكلون ، وهو مشغول بالنظر إلى الستور المعلقة على الحيطان ، فقيل له : مالك لا تأكل ؟ فقال : والله لقد طال تعجبى من هذه الستور الطوال ، كيف دخلت من هذا الباب الصغير[٣] ؟

* قال دعبل فى التندر بمغفل :

سألته عن أبيه فقال : دينار خالى

فقلت : دينار من هو فقال : والى الجبال[٤]

* قالوا لأبى الإصبع بن رِبْعِىّ : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونى ، فكيف صاروا لى عدوا[٥] ؟

* خرج كلاب بن صعصعه مع إخوته ليشتروا حيلا لهم ، فجاء كلاب بعجل يقوده ، فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرس اشتريته . قالوا : يا أحمق ، هذه بقرة ، أما ترى قرنيها ؟ فرجع إلى بيته ، فقطع قرنيها[٦] .

(١) أخبار الحمقى ١٣٩ (٢) عيون الأخبار ٢ / ٣٨
(٣) أخبار الحمقى ١٢٨ (٤) محاضرات الأدباء ٢ / ٢٠٦
(٥) البيان والتبيين ٤ / ١٩ (٦) عيون الأخبار ٢ / ٤٥

* قيل لرجل : عندك مال ، وليس لك وارث إلا أمك ، فإن متّ ورثت المال وأتلفته . فقال : إنها لاترثني . قالوا له : وكيف لاترثك وهي أمك ؟ قال : لأن أبي طلقها قبل أن يموت[١] .

* رأى قبيصة بن المهلب الأزدي جرادا يطير ، فقال : لا يهولنكم ما ترون ، فإن عامتها موتى

* وقال مرة : رأيت غرفة فوق بيت[٢] .

* جاء رجل إلى وجيه من وجوه بلده فقال : أنا جارك ، وقد مات أخي ، فرّ لي بكفن . قال : لا والله ، ماعندي اليوم شيء ، ولكن عد إلينا بعد أيام فسيكون ما تجد . قال : أصلحك الله ، فهل نملح الميت إلى أن يتيسر عندك شيء ؟[٣] .

* مرض فتى ، فقاله له عمه : أي شيء تشتهي ؟ قال : رأس كبشين . قال عمه : ذلك لا يكون . قال : فرأسي كبش[٤] .

* وقع بين أبي عباد وبين ابنه كلام ، فقال الابن : لولا أنك أبي ، وأنك أسنّ مني لعرفت[٥] .

* خطب مصعب بن حيان خطبة زواج ، فحصر ، فقال : لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أم العروس : عجّل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟[٦] .

* دخل أبو عتّاب على عمرو بن هدّاب ، وقد كفّ بصره ، والناس

---

(١) أخبار الحمقى ١٤٧ (٢) عيون الأخبار ٢/٤٥ (٣) البيان والتبيين ٤/١١
(٤) البيان والتبيين ٢/٢٤١ (٥) العقد الفريد ٣/٢١٨
(٦) البيان والتبيين ٢/٢٥٠

يعزونه ، فقال : يا أبا زيد ، لايسوءنك ذهاب عينيك ، فإنك لو رأيت ثوابهما فى ميزانك تمنيتَ أن الله قطع يديك ورجليك ودقَّ ظهرك[١] .

* أتى الحجاج بسَفَط مُقْفل قد أصيب فى بعض خزائن كسرى ، فأمر بالقفل فكسر ؛ فإذا فيه سفط آخر مقفل ، فقال : من يشترى هذا السفط بما فيه؟ فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار . فأخذه الحجاج ونظر فيه ، وقال: ما عسى أن يكون فيه إلا خرقة من خرقات العجَم ، ثم أنفذ البيع ، وعزم على المشترى أن يفتحه ويريه ما فيه ، ففتحه بين يديه ، فإذا فيه رقعة مكتوب فيها : من أراد أن تطول لحيته فليَمْشُطها من أسفل[٢] .

* حدث الجاحظ أن غلامه نفيسا كان إذا مشى إلى فراشه فى كل ليلة وسائر السنة يقوله فى دعائه : اللهم علينا ولا حوالينا[٣]

وهو يريد : اللهم حوالينا ولا علينا .

* ذكر الجاحظ أنه سمع رجلا يقول لآخر : ضربنا الساعة زِنْديقا . فقال الجاحظ : وأى شىء الزنديق ؟ قال الرجل : هو الذى يقطع المزيقة . فقال له الجاحظ: وكيف علمتَ أنه يقطع المزيقة ؟ قال الرجل : رأيته يأكل التين بالخل[٤] .

---

(١) عيون الأخبار ٢/٨ ؛ (٢) العقد الفريد ٣/٣٣٢
(٣) البيان والتبيين ٤/١٩ ؛ (٤) البيان والتبيين ٢/١٧٨

التناقض

١ — أكثر الأمور تجرى فى الحياة على نظام رتيب مألوف لا غرابة فيها ولاشذوذ ولا تناقض ، فلا تثير ضحكا .

ذلك بأن الشىء المألوف لايضحك ، فالزى الذى درجنا على رؤيته لايضحكنا ، لأنه يبدو جزءا من لابسه ، فلا ينفصله الخيال عنه ، لكن الزى يضحكنا إذا كان غريباً .

أما الشىء المغاير للمعهود المألوف فقد يثير اشمئزازا ، وقد يثير رحمة وإشفاقا ، وقد يثير ضحكا . فالذى يقضى حاجته فى الطريق على مرأى من الناس يبوء بسخطهم ولومهم ، لأنهم ينفرون منه ويشمئزون من فعله . والذى يمشى على ساقين من خشب يستدرُّ عطفهم ، لأنه يمثل لوناً من ألوان العجز والحرمان . لكن الذى يحاكى القرد يضحكهم ، والذى يلبس عمامة على سروال ويمشى حافى القدمين وعلى عينيه منظار وفى يده شمسية ، يضحكهم . والذى يُسأل عن اسمه فيقول (أكلتُ عصبا) يضحكهم . لأن كل واحد من هؤلاء ناقضٌ المعروف المألوف ، وفاجأ الناس بما لم يتوقعوه ، على حين أنه لم يُسْخطهم ، ولم يثر فيهم إشفاقا .

كذلك يضحك الناس من الذى يريد أن يضرب الكرة بقدمه فيقع على ظهره ، لأنه أخطأ الضربة ، وعجز عن حفظ توازنه ، لضعف فى مرونته ، أو لقلة خبرته ومرانته ، أو لذهوله عن تكييف حركته وملاءمة ظرفه ، أو لعجزه عن ضبط سرعته وقوته .

ولعل ضحك الجمهور من أحد هذه المناظر التى تفجؤه بما لا يتوقع ضرب من الفن النقدى ، لأنه رد على الخطأ المضحك بالضحك . ذلك بأن فقدان الملاءمة للحالة الاجتماعية — بما لا يجرح المشاعر ولا يثير السخط ولا الإشفاق — ليس من الدلائل على الحياة الصالحة التى يريد الناس دوامها والإبقاء عليها ، فهو فقدان للتوازن المنشود ، وهو تصلبٌ فى الجسد أو فى الطبع أو فى الخلق ، ينذر بتقهقر الإنسانية ، أو توقُّف نشاطها وتطورها .

ومن الطبيعى أن الناس لا يستطيعون أن يقاوموا بأيديهم هذه الأحوال المضحكة ، إذ أنهم لم يصابوا بأذى أو عدوان ، لكنهم يرون شيئاً يقلقهم ولا يهددهم ، يرون حركة أو إشارة أو كلاما متنافضاً ، لا جواب عليه إلا حركة مثله ، أو إشارة تشاكله ، أو كلام يشبهه ، أو ضحك منه .

٢ — ولقد يكون التناقض نسبياً ، كأن نشهد فى مسرح قصة تمثل ، فنرى الممثلين ، ونطلع على أعمالهم ، على حين أن الممثلين أنفسهم يمثلون أدوارهم وهم غير عالمين بما حدث من قبل ، وغير ناظرين ما يدور حولهم من أحداث القصة . أى أن الحادثة تمثل فى آن واحد اتجاهين متضادين ، أحدهما هو الممكن ، وهو الذى يتصرف الممثل وَفْقه ، والآخر هو الواقعى ، وهو الذى يفهمه النظارة ، لأنهم يرون الموقف كله .

ولهذا يرون الممثل يخطىء خطأ مضحكا ، ويفهم فهما خاطئا ، ويحكم فى أعمال غيره أحكاما خاطئة ، بل هو يحكم على أعماله نفسها أحكاما لا توافق الصواب كما يعلمه النظارة .

والسرُّ فى ضحكنا حينئذ أننا نشهد التناقض الذى لا يشهده الممثل . لذلك قال برجسون : « كل موقف يضحك إذا انتسب فى الوقت نفسه إلى سلسلتين

من الحوادث مستقلتين استقلالا تاماً ، وأمكن أن يُفسَّر فى آن واحد بمعنيين متغايرين كل التغاير[1] » .

٣ — وثمة حقيقة لا مندوحة عن التنبه إليها ، هى أن بعض الأمور المتنافضة يبعث الضحك بالقوة لا بالفعل ، لأن تكررها واستمرار وقوعها يكسبها شيئا من الألفة ، ويُنَوِّم فيها إثارة الضحك ، ونحن نعلم أنه لا بد لإيقاظ الضحك واستيقاظه من انقطاع مفاجىء للاستمرار المألوف .

٤ — وقد ينشأ التنافض من حيرة الشخص بين عاملين مختلفين ، كأن يكون جوعان ، وخائفا . وتقوى الفكاهة إذا كان العاملان متنافضين ، وهو يحاول أن يخفى موقفه منهما ، أو يجهل هذا الموقف ، على حين أن القارىء للقصة أو الرائى للتمثيل يعرف هذا الموقف ، ويألفه فى الحياة العادية . ومن هنا لا بد للقارىء أو المتفرج من أن يكون ذا خبرة ومشاهدات اجتماعية .

٥ — من التنافض أن يقول الشخص كلاما ينقض آخره أوله ، وهو لا يدرى .

من ذلك أن أحد أعضاء جماعة الرفق بالحيوان كان يحدث صديقاً له ، فقال له فى رهْو . إننى — كما تعلم — لا أحتمل إيذاء مخلوق من مخلوقات الله ، حتى الذباب . لهذا فإنى إذا رأيت حُوديا يرهق حصانه بالحمل الثقيل ، ويضربه بالسوط فلن أتردد فى قتله كما يُقْتَلُ الكلب الخسيس .

ففى هذا المثال ادعى المتكلم أنه رحيم غاية الرحمة ، حتى بالذباب البغيض ، ثم ادعى أنه من شدة رحمته لا يحجم عن قتل الآدمى ، جزاء له على إرهاقه الحيوان .

---

(١) الضحك لرحسون ٧٠

٦ — ومن التناقض أن يقيس الشخص قياسا صحيحا فى صورته ، باطلا فى حقيقته ، ويحكم بما يخالف أحكام الناس جميعا . فقد أتت جارية إلى أبى ضَمْصم فقالت : إن هذا الفتى قَتَّلنى . فقال لهـــا : قبايه ، فإن الله يقول : والجروح قصاص[١] .

٧ — ومن التناقض أن يتكلم الشخص كلاما يريد به الإصلاح ، ويغفل عما فيه من إفساد ، أو هو يقصد الإفساد فى صورة الإصلاح ، أو يعمل عملا يبغى به الخير . وهو لاهٍ عما يجره من شر ، أو هو يقترف الشر فى مظهر الخير .

من ذلك أنه حدث بين الأعمش وامرأته جفْوة . فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما . فدخل الرجل إليها ، وقال لها : إن أبا محمد شيخ كبير . فلا يُرَهِّدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه ، وصعف ركبتيه ، ونتن إبطيه ، وبَخَر فمه ، وجمود كفيه . فقال له الأعمش : فم ، قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه[٢] .

٨ — وقد يكون التناقض ناشئا عن الخَلْط . فقد شهد سَلْمِىّ الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل فقال : هو — أصلحك الله — ناصبى ، رافضى ، قدرى ، مجبرى ، يشتم الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة على علىّ بن أبى سفيان . فقال له جعفر : ما أرى على أى شىء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات ؟ أم على معرفتك بالأنساب ؟ فقال الموسوس : أصلح الله الأمير ، ما خرجت من الكتاب حتى حذقت هذا كله[٣] .

٩ — وربما كان سببه ما يصح أن نسميه نفاقا ، كأن يعظ الشخص غيره ولا يفعل فى المجلس نفسه ما يعظ به .

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٣٣ (٢) المستطرف ٢/٢١٦ (٣) نهاية الأرب ٤/١٢

من ذلك أن قاسماً التمار أقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ ، وذلك بعد العصر بساعة ، فقال لبعضهم : قم صل ، فاتتك الصلاة . ثم أمسك عنه ساعة . ثم قال لآخر : قم صل ، فقد ذهب الوقت . فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالس لا يقوم ليصلى ، قال له واحد منهم : فأنت لم لا تقوم لتصلى ؟ فأقبل قاسم عليه فقال : ليس والله تعرفون أصلى فى هذا . قيل له : وأى شىء أصلك ؟ قال : لا نصلى ، لأن هذه المغرب قد جاءت[1] .

١٠ — ويصح أن نعتبر من التناقص المضحك أن يكون الشخص فى حالة تقتضى تصرفا معينا معلوما فإذا به يفعل أو يقول نقيض ما كان يجب أن يفعل أو يقول . كذلك الأعرابى الذى صلى فى جماعة ، فقرأ الإمام « قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا ، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » . فقال الأعرابى : أهلكك الله وحدك ، إيش كان ذنب الذين معك ؟ . فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك[2] .

فالمعروف أن الكلام فى الصلاة يبطلها ، لكن الأعرابى تكلم فناقض كلامه ما يجب أن يكون عليه ولم يكن كلامه وحده هو الباعث على الضحك ، وإنما ضحك المصلون ؛ لأنه فهم الآية الكريمة على أنها حديث من الإمام عن نفسه وعن المصلين خلفه ، فرد عليه رد المتعجب المنكر .

أمثلة أخرى

* روى مالك بن أنس أن بعض الشطار صلى خلف رجل . فلما قرأ الرجل أرتج عليه ، فلم يدر ما يقول . فجعل يردد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقال : ما للشيطان ذنب ، إلا أنك لا تحسن أن تقرأ[3] .

---

(١) البيان والتبيين ٤/١٢ (٢) المستطرف ٢/٢١٤

(٣) الأذكياء ١٠٩

* سرق أعرابى صرة فيها دراهم ، ثم دخل المسجد ليصلى ، وكان اسمه موسى . فقرأ الإمام قوله تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى ؟ » فقال الأعرابى . والله إنك لساحر . ثم رمى الصرة وخرج[١] .

* قيل لأشعب . قد أسرعت فى صلاتك يا أشعب . فقال : لأنها صلاة لا يخالطها رياء[٢] .

* ضرب الحجاج أعرابيا سبعمائة سوط ، وهو يقول عند كل سوط : شكرا لك يارب ، فالقيه أشعب ، فقال له : أتدرى لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال . ما أدرى . قال : لكثرة شكرك ، أما علمت أن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم[٣] » .

* كان رجل يتباطأ عن صلاة الجمعة ، فرأى آخر يستعجل ، ويقول : أخشى أن تفوتنى الجمعة ، فقال له : أنا أخشى أن أدركها[٤] .

* سئل رجل عن كنيته فقال : أبو الحسن ، وأبو الفخر . فقيل له: ألم تكن واحدة تكفى ؟ قال : لا ، إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى[٥] .

* قيل لرجل : كل . قال : لا أريد . قيل له : ولماذا ؟ قال : أكلت فليل أرز فأكثرت منه[٦] .

* كان هبنقة القيسى يحسن إلى إبله السمان ، ويسىء إلى المهازيل ، فسئل عن ذلك ، فقال : أما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان الله[٧] ؟ .

---

(١) المستطرف ٢/٢١٣ (٢) العقد الفريد ٣/٣٢٩ وفوات الوفيات ١/٢٣
(٣) العقد الفريد ٣/٣٢٩ (٤) محاضرات الأزباء ٢/٢٦١
(٥) محاضرات الأدباء ٢/٢٠٣ (٦) عيون الأخبار ٢/٥٣
(٧) العقد الفريد ٣ / ٢١٩

* سئل رجل : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى السوق لأشترى حمارا . فقال له رجل : قل إن شاء الله . فقال : وما الداعى إلى الاستثناء ؟ الدراهم معى ، والحمير فى السوق . فلما ذهب إلى السوق سرقت دراهمه . فعاد ، فقيل له : ماذا فعلت ؟ قال : سُرقت دراهمى إن شاء الله[١] .

* أُجْرِيت الخيل ، فطلع منها فرس سابق ، فجعل واحد من النظارة يُكَبِّر ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى ، هذا الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن لجامه لى[٢] .

* قيل لأعرابى : كيف برُّك بأمك ؟ قال : ماضربتها سوْطاً قطُّ[٣] .

* وقيل لآخر ، وهو يضرب أمه : ويحك ، تضرب أمك ؟ فقال : أحب أن تنشأ على أدبى[٤] .

* دخل قوم دار كرم الدَّوْسىِّ ، فقالوا له : أين القبلة فى دارك ؟ فقال : إنما سكناها منذ ستة أشهر[٥] .

* ضل بعير لهبَنَّقة ، فجعل ينادى : من وجد بعيرى فهو له . فقيل له : ولماذا تطلبه إذاً ؟ قال : وأين حلاوة الظفر ؟[٦] .

* تبخر مغفل وهو لابس ثيابا نفيسة ، فاحترقت ، فحلف بالطلاق ألا يتبخر بعدها إلا عريانا[٧] .

* أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا له فى سباق ، فجاء سابقا . فقال لأبيه :

---

(١) محاضرات الأدباء ٢ / ١١١
(٢) عيون الأخبار ٢ / ٤٨ وذيل زهر الآداب ٢٨٠
(٣) عيون الأخبار ٢ / ٤٧
(٤) عيون الأخبار ٢ / ٤٧
(٥) العقد الفريد ٣ / ٢٢١
(٦) المحاسن والمساوىء ١٠١
(٧) أخبار الحمقى ١٠٠

يا أبى ، بأى شىء أسميه ؟ قال : افقأ إحدى عينيه ، وسمه الأعور . وفيه يقول الشاعر :

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم ... وأىُّ عباد الله أحمقُ من عجل

أليس أبوهم عارَ عينَ جواردِه ... فأضحت به الأمثال تُضرَبُ فى الجهل[1]

* ورث حيّانُ بن غضبان نصف دار عن أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار ، وأشترى الباقى ، فتصير الدار كلها لى[2] .

* جفا جحا أمه فقالت : أهذا جزائى ، وقد حملتك فى بطنى تسعة أشهر ؟ فقال : ادخلى فى بطنى حتى أحملك سنتين ، وحلصينى[3] .

* زار جحا المقابر يوما ، فوجد امرأة تبكى عند قبر ، فقال لها : من مات لك ؟ قالت : زوجى . قال : وما كانت صناعته ؟ قالت : كان يحفر القبور للموتى . فقال لها : أما علمتِ أنه من حفر لأخيه المسلم قبرا أوقعه الله فيه . والله لقد استرحتِ منه . لأى شىء كان حفّارا ؟ قد صدق من قال : كما تَدِينُ تُدان[4] .

* اشترى جحا دقيقا ، وحمله على حَمّال ، فهرب الحمال بالدقيق ، فلما كان بعد أيام رآه جحا ، فهرب منه ، فقيل له : مالك ياجحا قد اختفيت من الحمال الذى سرقك ؟ قال : خفت أن يطلب منى أجره[5] .

* هبت ريح شديدة ، فاجتمع الناس يدعون الله ، ويتوبون ، فصاح جحا : ياقوم ، لا تَمْحَلُوا بالتوبة ، فإنما هى زوبعة وتسكن[6] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٤٣
(٢) ديل زهر الآداب ١٣١
(٣) محاضرات الأدباء ١ / ٢٠٦
(٤) مضحك العبوس ٣٧
(٥) أخبار الحمقى ٢٧
(٦) أخبار الحمقى ٢٦

* سرق حمار من رجل ، فقال : الحمد لله . فقيل له : علام تحمد الله ؟ قال : لأنى لم أكن راكبه ، وإلا سُرِقت معه[١] .

* نظر ابن خلف الهمدانى فى الزير ، فرأى وجهه ، فجرى إلى أمه ، فقال : يا أمى ، فى الزير لص . فجاءت أمه تحرى ، وتطلعت فى الزير ، فقالت : إى والله ومعه لِصَّة[٢] .

* رئى ابن خلف الهمدانى وهو يَعْدُو فى وسط داره عدوا شديدا ، يقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك ، فقال : أردت أن أسمع صوتى من بعيد[٣] .

* قال رجل لجحا : أتحسن الحساب بإصبعك ؟ قال : نعم . قال : خذ مُدَّين من قمح . فعقد جحا خنصره وبنصره . فقال له : وخذ مُدَّيْن من شعير . فعقد السبابة وإبهامه . وأقام الوُسْطَى . فقال الرجل : لم أقمت الوسطى ؟ قال : لئلا يختلط القمح بالشعير[٤] .

* سرقت نعل عامر بن عبدالله الزبيرى ، فلم يتخذ نعلا حتى مات ، وقال : أكره أن أتخذ نعلا ، فلعل رجلا يسرقها ، فيأثم[٥] .

* صلَّى أعرابى اسمه مجرم خلف إمام ، فقرأ الإمام : «ألم نُهْلِكِ الأولين» . وكان الأعرابى فى الصف الأول ، فتأخر إلى الثانى ، فقرأ الإمام : « ثم نُتْبِعهم الآخرين » فتأخر إلى الخلف . فقرأ الإمام : « كذلك نفعل بالمجرمين » فترك الأعرابى الصلاة ، وخرج هاربا ، وهو يقول ؟ والله ما المطلوب غيرى . فوجده بعض الأعراب ، فقال له : مالك يامجرم ؟ قال : إن الإمام أهلك الأولين والآخرين ، وأراد أن يهلكنى ، والله لارأيته بعد اليوم[٦] .

---

(١) أخبار الحمقى ١٣٨ (٢) نهاية الأدب ١٦/٤ (٣) نهاية الأدب ١٦/٤
(٤) أخبار الحمقى ٢٨ (٥) البيان والتبيين ٣٤٩/٢ (٦) المستطرف ٢١٤/٢

سرق أعرابي عاشيةً من على سرج ، ثم دخل المسجد ليصلي ، فقرأ الإمام قوله تعالى : هل أتاك حديث الغاشية ؟ فقال : يافقيه ، لاتدخل في الفضول. فلما قرأ : « وجوه يومئذ خاشعة » قال : خذوا غاشيتكم ، ولا يخشع وجهي ، لا بارك الله لكم فيها ثم رماه من يده وخرج[1] .

ذكر الجاحظ أن كيسان كاتب أبي عبيدة كان يكتب غير مايسمع، ويقول غير ما يكتب ، ويستملي غير ما يقرأ ، ويملي غير ما يستملي .

وذكر أنه شهد عند والٍ على رجل ، فقال : سمعت بأذني — وأشار إلى عينه — ورأيت بعيني — وأشار إلى أذنه — أنه أمسك بتلابيب هذا الرجل — وأشار إلى كمه — وما زال يضرب خاصرته - وأشار إلى فمه — فضحك الوالي ، وقال : أحسبك قد قرأت كتاب خَلْق الإنسان على الأصمعي . فقال : نعم ، قرأته مرتين[2] .

سأل أبو عبيدة كيسان كاتبه عن اسم رجل من شعراء العرب ، فقال: اسمه حِداش أو حِراش أو رِياش أو حِماش ، أو شيء آخر ، وأظنه قرشياً . فقال له أبو عبيدة : من أين علمت أن نسبه في قريش ؟ فقال : رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانب[3] .

ذكر الجاحظ أنه دخل واسط ، فبكر يوم الجمعة إلى المسجد ، فقعد ، فرأى على رجل لحية لم ير أكبر منها ، وإذا هو يقول لآخر : الْزَمِ السنة حتى تدخل الجنة فقال له الآخر : وما السنة ؟ قال : حبُّ أبي بكر بن عفان، وعثمان الفاروق، وعمر الصّديق ، وعلي بن أبي سفيان ، ومعاوية بن أبي شيبان . قال : ومن معاوية

---

(١) المستطرف ٢/٢١٣ (٢) ديل زهر الآداب ٣٠٣

(٣) ديل زهر الآداب ٣٠٣

ابن أبي شيبان ؟ قال : رجل صالح من حملة العرش ، وكان النبي ﷺ وروج ابنته عائشة[١] .

* سئل رجل عن مولده ، فقال : ولدت رأس الهلال ، للنصف من رمضان ، بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شئتم[٢] .

* أكل أعرابي بمامقة طعاما ساخنا ، فاحترق فمه ، فقال : أبعدني الله إن حكمت على فمي غير يدي ، فإنها رائد حق ، ونذير صدق[٣] .

* مر رجل بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه ، فقال لأحد الضاربين : ما حال هذا الرجل ؟ قال : والله ما أدري حاله ، ولكني رأيتهم يضربونه ، فضربته معهم ، طلبا للثواب من الله عز وجل[٤] .

* كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي أن يقسم مالا بين القواعد والعميان والأيتام . فدخل عليه أبو رياد التميمي ، فقال : أصلحك الله ، اكتبني في القواعد . فقال له : عافاك الله ، القواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن . فقال : اكتبني في العميان . قال : اكتبوه فيهم ، فإن الله تعالى يقول : « فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » قال أبو زياد : واكتب ابني في الأيتام . قال : نعم ، من كنت أباه فهو يتيم[٥] .

* قال رجل لامرأته : الحمد لله الذي رزقنا ولدا طيبا . قالت : الحمد لله ، لم يرزق أحد مثل ما رزقنا . فدعيا ولدهما ، فجاء ، فقال له أبوه : يا بني ، من حفر البحر ؟ قال : موسى بن عمران . قال : ومن خاطه ؟ قال : محمد ابن الحجاج . فشقت المرأة قميصها ، ونشرت شعرها ، وجعلت تبكي . فقال

(١) أخبار الحمقى ١٥٠ (٢) نهاية الأرب ٤ / ١٧
(٣) محاضرات الأدباء ١ / ٣٩٣ (٤) أخبار الحمقى ١٥٠ (٥) نهاية الأرب ٤/ ١٧

روجها : مابك ؟ قالت : لا يعيش ابنى مع هذا الذكاء[١] .

* دخل بن خلف الهمدانى على رجل يعزيه ، فقال : أعظم الله مصيبتك ، وأعان أخاك على ما يَرِدُ عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس ، فقال : تضحكون مما قلت ، وإنما أردت هاروت وماروت[٢] .

* قال بعضهم : يقال إن أهل هِيت يكون أكثرهم عورا ، فرأيت رجلا منهم صحيح العينين ، فقلت له : إن هذا لغريب . فقال : ياسيدى ، إن لى أخا أعمى فد أخذ بصيبه ونصيبى[٣] .

* صعد رجل المنبر . فلما استوى قائما ، وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صَلَعة رجل ، فقال : اللهم العن هذه الصَّلعة[٤] .

* صعد عدى بن أرطأة على المنبر ، فلما رأى جماعة الناس حَصِر ، فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم[٥] .

* قيل لوارع اليشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما صعد رأى وجوه الناس نحوه ، فقال : لولا أن امرأتى حملتنى على إتيان الجمعة اليوم ما أتيت ، وأنا أشهدكم أنها طالق ثلاثا[٦] .

* رأى بعضهم أبانواس يصلى فى جماعة ، فقالوا له : ما هذا ؟ فقال . أردت ان يرتفع إلى السماء خبر طريف[٧] .

* ركب شيخ هرم عربة ، فقال للسائق . امش ببطء ، لأن هزات العربة

(١) ديل زهر الآداب ٢٥٦
(٢) نهاية الأرب ٤ / ١٧
(٣) نكت الهميان ٦٦
(٤) البيان والتبيين ٢ / ٢٥١
(٥) البيان والتبيين ٢ / ٢٤٩
(٦) البيان والتبيين ٢ / ٢٥١
(٧) محاضرات الأدباء ٢ / ٢٦١

تضربنى . فقال السائق · لاتخف ياسيدى ، لأننى كنت قبل الآن سائق عربة نقل ، وأعرف مايحتاج إليه المتاع العتيق من المحافظة والصيانة حتى لاينكسر[1] :

* قال القاضى لمتهم بالنشل : ليس من الأدب أن تقف أمام القاضى وأنت واضع يدك فى جيبك . فقال المتهم : لقد أحضرت إلى هنا بتهمة وضع يدى فى جيوب الناس ، فإذا لم أضعها فى جيبى ، فأين أضعها إذاً ؟

(١) ألف نادرة ١٨١

اللعب بالألفاظ

١ — قد يلعب السامع باللفظ الذى سمعه ، فيعكسه إلى معناه الآخر معتمدا على الاشتراك المعنوى فى اللفظ الواحد ، أو على الجناس أو الطباق بين اللفظ الذى سمعه ، واللفظ الذى ينطق به .

وقد يحدث تلاعب لفظى غير مراد ، لأنه ينشأ عن خَلْط بين اللفظ الذى نطق به المتكلم ، ولفظ آخر قريب منه توهمه السامع . وفى هذه الحالة ربما يجىء الرد مشاكلا لذلك الخلط ، فيزداد الموقف تعقدا وإضحاكا .

٢ — والتلاعب اللفظى — سواء أكان مقصودا أم غير مقصود — يضحك ، لأنه يمثل جهدا ضائعا ، إذ أن حديث المتكلم ينتهى إلى نتيجة عقيمة ، ويصوره — وقد توقع ثمرة لكلامه — يفاجأ بغير ثمرة . فكأنه عجز عن التعبير ، أو كأن اللغة لم تستطع أن تعبر عما يريد ، أو كأن السامع لم يحسن الاستماع والفهم ، وأى حال من هذه الأحوال نوع من التَّصَلُّب المضحك .

٣ — من ذلك أنه سُرق درهم من رجل ، فقيل له : إنه فى ميزانك . فقال : قد سرق مع الميزان[1] .

أراد القائل أنه فى ميزان حسناتك وثوابك يوم القيامة ، فلم يفهم السامع هذا المعنى ، أو هو فهمه ولكنه تعامل عنه ، وصرف الذهن عنه إلى معنى آخر ، هو الميزان الذى يزن به ، فقال : إن الدرهم والميزان سرقا معا .

٤ — ومن ذلك ماذكره الجاحظ فى قوله :

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/١١٠

أتيت منزل صديق لى فطرقتُ الباب ، فخرجتْ إلىَّ جاريةٌ سِندية ؛ فقلت لها : قولى لسيدك : الجاحظُ بالباب .

فقالت : أقول الجاحد بالباب ؟ قلت : لا ، بل قولى : الحَدَقِىُّ بالباب . فقالت : أقول الحَلَقِىُّ بالباب ؟ فقلت لها : لا تقولى شيئا ، وانصرفت .

الفكاهة هنا ناشئة عن خطأ الجارية فى السمع ، فهى قد سمعت (الجاحظ) (الجاحد) وسمعت (الحدقى) (الحلقى) فلم يجد الجاحظ بدا من الانصراف ، لأنه لا جدوى من التفاهم مع هذه الجارية التى لا تحسن السمع ، ولن تحسن التبلغ .

٥ — ومن أمثلة اللعب القائم على الجناس أنه اختصم إلى زياد بنو راسب وبنو الطفاوة فى غلام ادعوه ، وأقاموا جميعا البينة عند زياد ، فأشكل عليه الأمر فقال سعد الرابية : أصلح الله الأمير ، قد تبين لى فى هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البينة لبنى راسب ولبنى الطفاوة ، فولنى الحكم بينهما .

قال زياد : وماعندك فى ذلك ؟ قال : أرى أن يلقى الغلام فى النهر ، فإن رسب فهو لبنى راسب ، وإن طفا فهو لبنى الطفاوة . فأخذ زياد نعليه ، وقام ، وقد غلبه الضحك .

ثم أرسل إليه : إنى أنهاك عن المزاح فى مجلسى . قال : أصلح الله الأمير ، حضرنى أمر خفت أن أنساه .

فضحك زياد وقال : لاتعودن[1] .

فهنا تلاعب لفظى أساسه الجناس بين الرسوب وبنى راسب ، والطَّفو بنى طفاوة .

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٢٩

أمثلة أخرى

* كان خالد بن عبد الله من الجبناء ، خرج عليه المغيرة بن سعيد ، فذُعر خالد ، وقال : أطعمونى ماء[1] .

* خطب عبيد الله بن زياد ، فقال — من جنبه ودهشته وفزعه — افتحوا سيوفكم .

ولذلك قال فيه ابن مَفَرِّغ :

ويوم فتحت سيفك من بعيد ... أَضعت ، وكلُّ أمرك للضَّياع[2]

* دخل شَرِيك بن الأعور على معاوية بن أبى سفيان ، وكان شريك دميما . فقال له معاوية : إنك لدميم ، والجميل خير من الدميم . وإنك لشريك ، ومالله من شريك . وإن أباك الأعور ، والصحيح خير من الأعور . فكيف سُدْت قومك ؟ فقال له : إنك معاوية وما معاوية ، إلا كلبة عَوَتْ ، فاستعوت الكلاب. وإنك ابن صخر ، والسهل خير من الصخر . وإنك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب . وإنك ابن أَمَيّة ، وما أُمَيَّة إلا أمة صُغِّرتْ . فكيف صرت أمير المؤمنين ؟

ثم خرج وهو يقول :

أَيَشْتِمنُى معاوية بن حرب ... وسيفى صارمٌ ومعى لسانى ؟

وحَولى من ذَوِى يَزَنٍ ليوثٌ ... ضراغمة تَهَشُّ إلى الطِّعان

يُعَيِّرُنى بالدَّمامة من سَفاهٍ ... ورَبَّاتُ الحجال من الغوانى[3]

---

(١) عيون الأخبار ١/١٦٥ (٢) المرجع السابق

(٣) المستطرف ١/٥٥

* لقى ابن عتيق عمته السيدة عائشة ، وهى على بغلة . فقال لها : إلى أين ياأماه ؟ قالت : لأصلح بين حيَّين تقاتلا . فقال عزمت عليك إلا رجعتِ ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل ، حتى نرجع إلى يوم البغلة[1] .

* قال رجل لأعرابى : مااسمك ؟ فقال فُرات بن البحر بن الفيَّاض . قال : فما كنيتك ؟ قال : أبو الغيث . فقال للرجل : ينبغى أن تُلْزِق فيك زورقاً وإلا غرقنا[2] .

* قال أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطى فى إبراهيم بن محمد الواسطى النحوى المعروف بِنِفْطَوَيْه :

من سَرَّه ألا يرى فاسقا ... فليجتهدْ ألا يرى نِفْطَوَيْه
أحرفه الله بنصف اسمه ... وصَيَّرَ الباقى صُراخا عليه[3]

* انتقل أبو نواس إلى البصرة وهو شاب ، فتأدب فى مجالسها ، وكان أكثر اختلافه إلى حلف الأحمر . فجاء إلى أستاذه خلف يوما وقال له : اسمع منى قصيدة رثيتك بها ، وأنشده :

أودى جماع العلم منذ أَوْدَى خَلَفْ .

فقال له خلف : ويلك ، ماحملك على أن رثيتنى ، وأنا حى ؟ قال : أردت أن أعلم أَفَرَح شعرى أم لا ؟ قال له : نعم فَرَح ، أفرح الله جوفك[4]

* تقلد أبان بن عبد الحميد اللاحقى ديوان الشعر ليحيى بن خالد البرمكى فى عهد الرشيد ، فكان الشعراء يرفعون إليه أشعارهم فى الرامكة ، فيسقط ما يرى

---

(١) دوو الفكاهة ١٠٧ (٢) الأذكياء ١١٣ (٣) النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥٠
(٤) أخبار أبى نواس ١٠٩ قرح شعرى : المراد حاد وا كتمل . أقرح الله جوفك : أصابك فيه بجروح .

إسقاطه ، ويعرض مايرى مايرى عرضه فاسقط مرة شعر أبى نواس فيما أسقط فقال أبو نواس :

صحّفت أمك إذ سمّتك فى المهد أبانا
قد علمنا ما أرادت لم ترد إلا أتانا
صيّرت باءً مكان التاء والله أعانا[1]

* كان لأبى دلامة برذون أعجف محطّم هرم . فدخل يوما على المهدى وبين يديه سلمة الوصيف ، فقال للمهدى ، إنى جلبت للخليفة مهرا ، ليس لأحد مثله ، أحببت أن أهديه لك ، وإن أحببتَ أن تشرفنى بقبوله فعلتَ . فأمر المهدى بإدخال المهر . فلما رآه قال لأبى دلامة : ويحك ، ألم تزعم أنه مهر ؟ فقال : أو ليس وصيفك سلمة هذا تسميه وصيفا ، وله ثمانون سنة ؟ فإن كان سلمة وصيفا فهذا مُهر .

فجعل المهدى يضحك ، وسلمة يشتم أبا دلامة[2] .

* حدّث الجاحظ أنه بعث علامه نفيسا إلى السوق ليشترى له حوائج ، فاشترى مالم يأمره به ، وترك ما أمره به . فلما سأله فى ذلك قال : يامولاى ، أنا باقةٌ ، وليس فى ركبتى دماغ[3]

أراد أنه حديث الشفاء من مرض ، وليس فى رأسه دماغ وعقل ، فقال وليس فى ركبتى دماغ ، أو أراد أن يضحك سيده بقوله إن ركبته لاعقل لها

* وحدث أن غلامه نفيسا قال لغلام آخر : الناس ويلك أنت حياءً كلهم أول[4]

---

(١) الورراء والكتاب ٢١١ (٢) دوو الفكاهه ٧٣
(٣) البيان والتبيين ٤/٢٦ (٤) المرجع السابق

أراد أنت — ويلك أقل الناس كلهم حياء .

* وقال الجاحظ لغلام له : فى أى صناعة أسلموا هذا الغلام ؟ قال: فى أصحاب سِنْد نعال .

يريد أصحاب النعال السندية[1]

* قال النَّوْبَخْتى : جئت ابن الرومى ، فرأيته عليلا قبل موته بيوم ، فقلت له : إيش حبرك ! فقال : أى شئ خبر من يموت ؟ قلت :لا.أرى سحنتك صافية حسنة . قال : هكذا حال من يموت ، يكون حسن الوجه قبل موته .

فقلت : يعافيك الله . : قال خذ حديثي . أحببت أن أسكن مدينة أبى جعفر. فشاورت صديقا لى يُدْعى أبا الفضل — وهو مشتق من الإفضال — فقال لى : إذا عبرتَ القنطرة ، فخذ على يدك اليمنى — وهو مشتق من اليمن — واسأل عن سكة النعيمية — وهو مشتق من النعيم — وعن دار ابن المعافَى — وهو مشتق من العافية — .فخالفت لشؤمى واقتراب أجلى ، وشاورت صديقا آخر يقال له جعفر — وهو مشتق من الجوع والفرار — فقال لى: إذا عبرت القنطرة ، فخذ يسرة — وهو مشتق من العسر — واسأل عن العباسية — وهو مشتق من العبوس — واسكن فى دار فليب — وهو مشتق من الانقلاب — وقد انقلبت الدنيا كما ترى .

وأعظم ما يؤلمنى أنه تجتمع على هذا السُّور كل يوم العصافير ، وهى تصرخ فى وجهى : سيق سيق — وهو من السياق — وأنا الآن فى السياق .

فخرجت من عنده ، وعاودته من الغد ، فإذا هو قد مات[2] .

---

(١) البيان والتبيين ١/١٦٢

(٢) يلاحظ أن ابن الرومى كان مضرب المثل فى التشاؤم وفى التفاؤل .

* كان على بن سليمان الأخفش مولعا بمفاكهة ابن الرومى ، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح ، وإذا قال : من القارع ؟ قال له مُرّة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التى يتطير بها ، فيحبس ابن الرومى نفسه فى بيته ، ولا يخرج يومه كله .

* سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث ، فأخذ بحَلْقه ، وأسنده إلى حائط وقال : هذا إسناده[1] .

* كان أحمد بن المدبّر الكاتب المعروف (تولى الخراج لأحمد بن طولون سنة ٢٦٥ هـ ثم نقل إلى الشام) إذا مدحه شاعر فلم يَرْضَ شعره قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع، ولا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ، ثم أَطلِقْه . فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين .

ثم جاءه أبو عبد الله بن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل فاستأذنه فى النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم . ثم أنشده .

أردنا فى أبى حسن مديحا ... كما بالمدح تنتجع الولاةُ
وقلنا أكرمُ الثقلين طرًّا ... ومَن كفّاه دجلةُ والفراتُ
فقالوا : يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم : وما تُغنى صلاتى ... عيالى ، إنما الشأن الزكاة
فيأمُرُ لى بكسر الصاد منها ... فتصحُ لى الصلاة هى الصِّلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه وأحسن صلاته[2]

---

(١) العقد الفريد ١/٤ (٢) وفيات الأعيان ٦/٥٤ طبعة محيى الدين .

* سرق خُرْج من رجل ، فقيل له : لو دعوت عليه آية الكرسى ما سُرق . قال : إنه كان فيه مصحف كامل[١] .

* اجتاز جحا يوما بباب الجامع ، فقال : لمن هذا القصر ؟ قالوا : هذا مسجد الجامع[٢] . فقال : رحمه الله ، ما أحسن مسجده الذى بناه[٣]

* قال أبو الصَّلْت أمية بن عبد العزيز الرياضى الشاعر الأندلسى الذى وفد على مصر حوالى ٥١٠ هـ فى طبيب اسمه شعبان :

يا طبيبا ضجر العا ... لم منه وتَبَرَّمْ
فيك شهران من العا ... م إذا العام تصَرَّمْ
أنت شعبان ولكنْ ... قَتْلُك الناسَ المحرَّمْ[٤]

* وقال آخر فى أبى الخير سلامة بن رحمون الطبيب اليهودى المصرى :

إن أبا الخير على جهله ... يَخِفُّ فى كفته الفاضلُ
عليه المسكين من شؤمه ... فى بحر هُلْك ماله ساحل
ثلاثة تدخل فى دَعْوة ... طَلْعَته والنمش والناسل[٥]

* قيل لجحا ، وكان به جرح ، فبرىء منه : بم تداويت ؟ فقال : بدم الوالدَيْن. وهو يريد الأَخَوَيْن أى العُنَّاب .

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ١١٠ (٢) أى المسجد الذى يجمع الناس (٣) أخبار الحمقى ٢٧
(٤) عيون الأنباء ٢ / ٦١ (٥) عيون الأنباء ٢ / ١٠٧

التهكم بالعيوب الجسدية

سنتحدث عن التهكم والغرض منه فى العيوب الخلقية والنفسية . وشأنه هنا كشأنه هناك .

١ — نريد بالجسد شكل الجسد كله ، أو شكل عضو من أعضائه ، ونريد به الحركة التى تؤديها الأعضاء كلها أو بعضها ، وكذلك نقصد ما يتصل بالجسد كاللحية .

وليس فى القدرة تعريف القُبْح ، كما أنه ليس من اليسير تعريف الجمال .

لكننا نستطيع أن نقسم القبح إلى نوعين :

نوع لا يثير ضحكا ، لأنه يولد فى نفس الرائى رحمة أو إشفاقا أوسخطا ، ونوع آخر مضحك ، لأن رؤيته لا توحى بغير الضحك .

فمنظر الأحدب قد يضحك ، لأنه يبدو رجلا ساءت وفقته ، فكأن ظهره تعود هذا الانحناء القبيح ، وواظب هو عليه ، نتيجة لتصلب فى جسمه ، فهو يشبه أول وَهْلة منظر رجل أراد أن يتصلب على وضعٍ مّا ، وأن يتقوس ظهره ويتداخل .

وإن الشىء يزداد إضحاكا بقدر ما يستطاع تغيير سببه تغييرا طبيعيا ، فالذى يضحك فى هيئة شخص هو الآليـــة والتصلب . ومن هنا كانت الصور الكاريكاتورية مضحكة ، لأنها تضخم الهيئة أو الحركة وتبرزها ، وهى تعلن للناظرين — بما فيها من مبالغة — أن المبالغة ليست هى الغاية ، وإنما هى وسيلة يتوصل بها الرسام إلى إبراز شذوذ فى الهيئة أو فى الحركة .

٢ — لقد صور الأدباء العيوب الجسدية تصويرا قائما على المبالغة ، والتضخيم ، والإضحاك .

أحيانا بالوصف المضحك ، وبالتشبيه الذى يسوق صورة مضحكة ، كقول ابن الرومى فى وصف أحدب :

قَصُرَتْ أخادِعُهُ وطال قَذَالُهُ فكأنه مُتَرَبِّصٌ أن يُصْفَعا
وكأنما صُفِعَت قفاه مَرَّةً وأحسَّ ثانيةً لها فتَجَمَّعا(١)

فهو يصوره هنا قصير العنق طويل الشعر المتدلى على ظهره لاعلى عنقه ، ويصوره منقبضا منكمشا قد التصق رأسه بظهره فى حركة تشنجية لأنه يتوقع أن يصفع على قفاه ، وكأنما قد صفع مرة وآلمه الصفع ، فهو يتجمع ليتقى الصفعة الثانية .

وأحيانا بالتصوير الذى لوّنته المبالغة ، والخيال الذى ربط بين الموصوف وشىء آخر بعيد الشبه به ، وهذا الربط قائم على السخرية والإضحاك ، كما تخيل شاعر وهو يتهكم برجل قصير أنه لو سقطت من دُبُرِه بيضة على الأرض ما انكسرت ، لأن أعضاءه قريب بعضها من بعض ، فليس بين دبره والأرض علوٌّ .

ألا ياشبيه الدُّبِّ مالك مُعْرِضاً وقد جعل الرحمن طولك فى العَرْضِ
وأُقسِمُ لو خَرَّتْ من استك بيضةٌ لماانكسَرَتْ لقرب بعضك من بعض(٢)

وكقول آخر فى وصف امرأة قبيحة :

رَفْطاء حَدْباءُ يبدى الكِبْدَ مَضْحَكُها
فَنْواءُ بالعَرْضِ ، والعينان بالطولِ

---

(١) ديوان ابن الرومى ١٤٦ أخادعه : عروق فى صفحتى عنقه
(٢) شرح الحماسة للتبريزى ٤ / ١٨٣ معرض : داهب فى العرض .

لها فمٌ مُلْتَقَى شِدْقَيْهِ نُقْرَتُها ... كأن مِشْفَرها قد طُرَّ من فيل
أسنانُها أُضعِفَتْ فى خَلْقها عَدَداً ... مُظَهَّراتٌ جميعا بالرَّواويل[1]

وأحيانا بالمفاجأة بكلام غير منوقع ، لكنه تعبير عن القبح بغير مبالغة مستمدة من وسائل الخيال .

من ذلك أن عيسى بن موسى قال للعوام بن حَوْشب : من أرضعتك ؟ فقال له: ما أرضعتنى إلا أمى . فقال له عيسى : قد علمت أن ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمك[2] . فالسؤال هنا عن المرضع لا يسوق إلى الذهن هذا التعليق الفكه ، وإنما يحتمل أمورا أخرى ، فلما كان التعليق كذلك جاء مفاجئا ، وجاء مصرحا بالدمامة ، فكان مضحكا .

ومن ذلك ماحدث بين أبى نواس وعثمان بن حفص الثقفى ، إذ خرج أبو نواس من مرضه مصفر الوجه ، فرآه عثمان — وكان أقبح الناس وجها — فقال : مالى أراك مصفرا يا أبا نواس ؟ فقال له : رأيتك فذكرت ذنوبى . قال عثمان : ولماذا ذكرت ذنوبك عند رؤيتى ؟ فقال أبو نواس : خفت أن يعاقبنى الله فيمسخنى قردا مثلك[3] .

أمثلة أخرى للعيوب الجسمية عامة

نظر أشعب إلى شيخ قبيح الوجه ، فقال له : ألم ينهكم سليمان بن داود عن الخروج بالنهار[4] ؟

(١) المرجع السابق ٤/١٨٠ ومحاضرات الأدباء ٢ / ١٨٦ رفطاء . منقطة بالبرش . الكمد : الباطن . قواء بالعرض : طال أعلها عرضا ، نقرها . نقرة قفاها وهى ملتقى العنق بالظهر . طر : قطع . الرواويل : جمع راوول وهى السن الزائدة خلف الأسنان . مظهرات : جعل بعضها فوق بعض كالظهارة ، أو مقويات .
(٢) العقد الفريد ٣/٢٣٢ (٣) ديل زهر الآداب ١٣٤ (٤) العقد الفريد ٣/٣٢٩

* قال ابن الرومى فى عمرو بن عيسى :

وجهك ياعمرو فيه طول ... وفى وجوه الكلاب طُولُ
وأنت من أهل بيت سوء ... فصتهم قصةٌ تطول
وجوههم للورى عظاتٌ ... لكن أقفاءهم طُبول
مستفعلن فاعلن فعول ... مستفعلن فاعلن فعول
بيت كمعناك ليس فيه ... معنى سوى أنه فضول(١)

* وقال ابن الرومى فى عمرو النصرانى :

ياعمرو نُخِراً فقد أعطيتَ منزلةً ... ليست لقَسٍّ ولا كانت لشمّاسِ
للناس فيك إمامُ الناسِ مالكُهُ ... وأنت ياعمرو فيلُ الله لا الناسِ
عليك حُرطومُ صِدْقٍ لا تخُنْتَ به ... فإنه آلة للجود والباس
لو شئتَ كسْباً به صادفتَ مُكْتَسَباً ... أو انتصارا مضى كالسيف والفاس
من ذا يَقُومُ لحرطوم حُميتَ به ... إذا ضربتَ به رِئْماً على الراس
حملت أنفاً يراه الناس كلهم ... من رأس ميلٍ عِياناً لا بمقياس(٢)

* قال ابن الرومى فى وصف امرأة قبيحة .

دَحداحة الخِلْقةِ حَدْباؤها ... فامتُها فامةٌ فُقَّاعهْ
لو أنها مِلْكى — ولى ضَيْعةٌ — ... جعلتُها للطير فَزاعهْ(٣)

* قال ابن الرومى فى صلعة أبى حفص الوراق .

---

(١) ديوان ابن الرومى ١٥ (٢) ديوان ابن الرومى ٢٤٠
(٣) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٦ فزاعة : مخوفة للطير طاردة

يا صَلْعةً لأبى حفصٍ مُمَرّدةً كأن ساحتهـــا مرآة فولاذ
تَرَنُّ تحت الأكفِّ الواقعات بها حتى تَرِنَّ بها أكناف بغداذ[1]

* قال ابن الرومى فى عمرو بن عيسى :

عشقنا قفا عمرو وإن كان وجهه يُذَكِّرنا قبح الخيانه — والغَدْر
فتى وجهه كالبحر لاوصلَ بعده وأما قفاه فهو وَصْلٌ بلاهجر[2]

* قال شاعر فى وصف رجل قبيح الصورة والصوت :

لوتَسَمَّعتَ صوته قلتَ هذا صوتُ فرخ فى عشه مَزْقوق
أو تَأمَّلتَ رأسه قلتَ هذا حَجَرٌ من حجارة المنجنيق
مُعْمِلُ فَرْضَ لحيةٍ لو تراها قلتَ عُثْنُونُ هِرْبِذٍ محلوق[3]

* قال شاعر فى امرأة قبيحة :

كأنما نَكْهَتُهـــا كامخٌ أو حُزْمَةُ من حُزَمٍ[4] الثوم

* وقال آخر فى امرأة :

وتَفْتَرُّ عن ثَلْج — عَدِمْتُ حديثها —
وعن جَبَلَىْ طىٍّ وعن هَرَمَىْ مصر[5]

---

(١) ديوان ابن الرومى ٤٣٨ (٢) ديوان ابن الرومى ٥٤ وصف وجهه بالدمامة ، وقال إن قفاه دائما يصفع .

(٣) شرح الحماسة للتبريزى ٤ / ١٨٢ مزقوق : مطعم من أمه أو أبيه . المنجنيق : آلة كانت للعرب يرمون بها الحجارة لهدم القلاع . القرص : القطع . العثنون : ماتدل من اللحية عن الذقن . الهربذ : الذى يصلى بالمحوس .

(٤) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٦ نكهتها : رائحتها . كامخ : إدام .

(٥) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٦

* وقال آخر فى امرأة نحيلة الذراع :

كأن ذراعا على كَفِّهـــا إذا حَسَرَتْ ذَنَبُ المِلْـقَه[1]

* وقال شاعر فى امرأة ضخمة البطن نحيلة الفخذين والساقين :

لو تَأَتَّى لك التَحوُّلُ حتى تجعلى خلفك اللطيف أماما
ويكون الأمامُ ذو الخِلْقَةِ الجَمْـــلَهِ خَلْفاً مُرَكَّناً قد أقاما
لإذاً كنت يا عُبَيْدة خير النا س خَلْفاً وخيرهم قدّاما[2]

* قال أبو المغَطّش فى امرأة قبيحة :

مُنِيتُ بِزَمْرَدَةٍ كالعصا ألصَّ وأخبث من كَنْدُش
لها وَجْهُ قِرْدٍ إذا أُرِّيَتْ ولونٌ كبَيْض القَطا الأبرش
وثدىٌ يَجُولُ على نحرهـــا كقربةِ ذى التِّلّة المُنْطِشِ
لها رُكَبٌ مثلُ ظِلْفِ الغزال أشـــدُّ اصفرارا من المشمِس
وساقٌ مُخَلْخَلُها حَمْشَةٌ كساق الجرادة أو أَحْمَش
كأن التآليـــل فى وجهها إذا سَفَرَتْ بدَدُ المشمِسِ
لهـــا جُمَّةٌ فوقها جَثْلَةٌ كمثل الخوافى من المُرْعَشِ[3]

---

(١) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٦ حسرت : كشفت (٢) شرح الحماسة للتبريزى ٤ / ١٨٣ مع وصم (قد أقاما) بدلا من الكلمة الأصلية . (٣) شرح الحماسة للتبريزى ٤/ ١٨٤ زمردة : كلمة فارسية معناها امرأة كندش : طائر معروف بالسرقة أو اسم لص أو هو الفأرة . الأبرش . المنقط بحالف لونه الثلة : الجماعة من الغنم . المعطش : الذى عطشت غنمه ، أى أن ثديها يشبه القربة الكبيرة الفارغة . محلخلها : موضع حلحالها حمشة : دقيقة ياسة . التآليل : جمع تؤلول وهو الثر الصغير . بدد : متفرق . الكشمش : العنب الصغير . جمة : مجتمع شعر الرأس . جثلة : عريرة الشعر . الخوافى : مادون الريشات العشر فى جناح الطائر . المرعش : النسر الهرم .

* قال شاعر فى رجل كبير الأنف :

لك وجهٌ وفيه قطعة أنفٍ ... كـــدار قد أدعموه ببغلـه

وهو كالقبر فى المثال ولـكنْ ... جعلوا نصبـه على غير قبلـه

* وقال آخر فى كبر الأنف .

لك أنـــفٌ دو أنوفٍ أنفَـتْ ... منـــه الأنوفُ

أنت فى القُدْسِ تُصَـــلى ... وهو فى البيت يطوفُ[1]

* قال عمر بن مسعود سراج الدين فى أنف كبير .

أرى لابن سعد لحية قد تـكاملت ... على وجهه واستقبلت غير مُقْبَل

ودارت على أنـــف كبير كأنه ... « عظيم أناسٍ فى بجادٍ مُزَمَّـل »[2]

فشبه الأنف بما شبه به امرؤ القيس جبل ثبير بعد أن نزل عليه المطر وغطاه، بأنه مثل كبر القوم فى كسائه المخطط المنسوج من وبر الإبل أو صوف الغنم، قد لبسه وتدثر به .

ولا يخفى أن الشاعر لمح إلى كبر الذقن وغزارة شعرها وطوله، لأنها تشبه البجاد الذى يغطى الأنف .

* نزع رجل قَدًى من لحية مَدِينى ، فقال له المدينى . قطع الله عنك القذى . فقال له الرجل . لمادا لم تقل : قطع الله عنك الأسوأ ؟ قال المدينى . بأبى أنت وأمى ، إنى نظرت فلم أر شيئا أقبح من وجهك ، فكرهت أن أقول . قطع الله عنك الأسوأ ، فأكون قد دعوت عليك ، فيتركك الله بدنا بلا رأس[3] .

---

(١) المستطرف ٢ / ٢٤ (٢) فوات الوفيات ٢ / ١١ .

(٣) ذيل زهر الآداب ١٠٠

قال البهاء زهير فى وصف امرأة قبيحة :

فلانة من تيهها تغصُّ بها مُقلَتى
وقد زعمت أنها وليست بتلك التى
فلا وَجهَ إنَ أقبلت ولا ردفَ إن ولَّت[1]

* قال حافظ إبراهيم فى رجل عظيم البطن ضخم البدن :

عطَّلتَ فنَّ الكهرباء فلم نجد شيئا يعُوق مَسيرها إلاَّ كا
تَسرى على وجه البسيطة لحظةً فتجوبها ، وتحار فى أحشا كا[2]

نهكم باللحى

أولِعَ الأدباء والفكهون بالسخرية من بعض اللِّحى ، والتَّندُّر ببعض الملتحين . ولعل مَردَّ ذلك إلى قبح منظرها أحيانا ، وإلى اتخاذها ذريعةً للخداع وقضاء المآرب أحيانا أخرى ، ولعلهم عرفوا أن أعمال بعض الملتحين لاتتفق مع مظهرهم الذى يتظاهرون به ، وأن بعضهم جهلة بالدين جهلا مضحكا ، فحملوا عليهم ، وتفكَّهوا بهم وبلحاهم . ولهم فى هذا أفانين شتى ، يجمعها كلها سخرية التصوير ، وتجسيم القبح ، والمبالغة المضحكة ، فى التشبيه وفى الخيال .

* قال ابن الرومى فى لحية :

ولحيةٍ يَحْمِلُها ماثقٌ شِبْهُ الشراعَيْن إذا أشرعا
لو قابل الريحَ بها مرةً لم يَنْبَعِثْ من خَطْوه إصْبعا

(١) ديوان البهاء زهير ٢٨ (٢) ديوان حافظ إبراهيم ١/١٤٩

أو غاص فى البحر بها غَوْصةً صاد بها حيتانه أجمعا[1]

* — وقال أيضاً :

ولحيةٍ سائلةٍ مُنْصَبَّهْ
شهباءَ تحكى ذَنَبَ المذبَّهْ
ألا فتى يرضى بذاك ربَّهْ
يضم كفيه على إرْزَبَّهْ
يُمِرُّ يعلو رأسه بضَرْبَهْ
يَشْفِى بها قلوبنا وقَلْبَهْ[2]

* وقال أيضاً :

إن تَطُلْ لحيةٌ عليك وتَعْرُضْ فالمخالى معروفةٌ للحمير
علَّق الله فى عذارَيْك مِخْلا ةً ولكنها بغير شعير
لو غَدَا حكمها إلىَّ لطارت فى مَهَبِّ الرياح كلَّ مطير
أَلقِها عنك ياطويلةُ أوْلاَ فاحْتَسِبْها شرارةً فى السعير
لِحْيَةٌ أهْمِلَت فسالت وفاضتْ فإليها تشير كفُّ المشير
فاتق الله ذا الجلال وغَيِّرْ مُنْكَراً فيك ممكن التغيير
أو فقصر منها فحسبك منها نصفُ شبر علامة التذكير
لو رأى مِثْلَها النبىُّ لأجرَى فى لِحَى الناس سُنَّةَ التقصير
واستَحَبَّ الإحْفاءَ فيهن والحلْـ ـقَ مكان الإعفاء التوفير[3]

---

(١) ديوان ابن الرومى ٤٥٦ مائق : أحمق (٢) ديوان ابن الرومى ٢٨٧ الإرزبة : المرزبة : عصاة من حديد (٣) ديوان ابن الرومى ٧١ ، ٢٨٦ الإحفاء: استقصاء القص . الإعفاء : التكثير والمراد هنا الإطالة

* قال شاعر فى لحية :

ألم تر أن الله أعطـــاك لحية ... كأنك منها بين تَيْسَيْنِ قاعد[1]

* وقال شاعر فى لحية :

يالحيةً أربعةٌ فى أربعـــة ... تَنْسِجُ منها كلَّ يوم مِدْرعه
قد ذَهَبَتْ فى الطول منها والسَّعه ... وتَحْتَشِى من حافتيها بَرْذَعه[2]

* قال بشر بن هارون فى لحية أبى موسى :

إن أبا موســى له لحيـــةٌ ... تَدْخُلُ فى الحِجْرِ بلا إذْنِ
وصورةٌ فى العـــين مثلُ القَذَى ... ونغمـــة كالوقر فى الأذن
كم صفعةٍ صـــاحت إلى صافع ... بالنعل من أخدعه : خـــذنى[3]

* قال البهاء زهير فى لحية .

وأحمقَ دى لحيـــة ... كبـــيرة منتشره
طلبت فيهـــا وجهه ... بشـــدة فلم أره
مَعْرِفةٌ لكنـــه ... أصبح فيهـــا نكره
ثورٌ غـــدا أعجوبة ... بلحيـــة مُـــدَوَّره
لو كان ذاك الثور عجـــلاً عبدته السَّمِره
تَبًّا لهـــا من لحية ... كبـــيرة مُحْتَقَره
عظيمـــة لكنهـــا ... ليست تساوى بَعَره

---

(١) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٧ .
(٢) محاضرات الأدباء ٢ / ١٨٧ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة ٢ / ٥٦ .

كم قَرْيةٍ للنمل فى حافاتهـا ومقـبره
يُقْسِم عُشْرُ عُشْرها يكفى رجالا عشرة
يَحْسُدها الخنزير إذ يبصرها منتشره
ويشتهى لو أنه يملك منهـا شَعَره
قد نَبَتَتْ فى وجهه فوق عظام نَخِره
باردةٌ ثقيلةٌ مظلمةٌ منكدره
كأنهـا سحابة فوق البلاد ممطره
قد تَرَكَتْ صاحبها منها بحال مُنْكَره
إذا خَطَتْ أقدامه كانت بها مُبَعْثره
وإن مشى رأيت فو ق الأرض منها غَبَرَه
مُضْحِكةٌ ما كان قط مثلهـا لمسْخره
فلو مضى السوقَ بها وزَفَّهـا بالمِزْمره
لحصّلتْ له مثلَ ضيعة مَوَقِّره[1]

نهكم بقبح الصوت

كان العرب كلفين بالغناء أيما كَلَف ، فتغنى رجالهم ، وتغنت قيانهم ، ومنذ عصر قديم ارتبط الشعر بالغناء ، حتى لقد عبروا عن إلقاء الشعر بأنه إنشاد وغناء .

---

(١) ديوان البهاء زهير ٩٧ السمرة : أصلها السامرة وهم قوم من اليهود ، أو السامرية نسبة إلى السامرى الذى عبد العجل .

وكانت القيان والنساء أليق باحتراف الغناء من الرجال ، لأنهن فى الغالب أندى أصواتا ، وأرق أنغاما ، وأحلى ترجيعا ، ولأن لجمالهن وأنوثتهن أثرا عظيما فى الطرب لهن .

ومن هنا عشق بعضهم المغنيات ، ومن هنا بلغ الطرب ببعضهم حدًّا أفقده صوابه أو وقاره ، فقد كان الشاعر الجاهلى عبيد يغوث يسمع الغناء فيشق رداءه :

وأنْحَرُ للشَّرْب الكرام مطيتى وأصْدَعُ بين القينتين ردائيا

وكان عمر بن أبى ربيعة يسمع جميلة المغنية فيشق رداءه إلى أسفله . وسمع يوما عزة الميلاد تغنى بشعره ، فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهل يا أبا الخطاب . قال : إنى سمعت والله ما لم أملك معه نفسى ولا عقلى . ثم كان لأحد الظرفاء فى العصر العباسى مغنيتان ، إحداهما مجيدة مطربة ، والأخرى مسيئة ، فكان إذا غنت المجيدة خرَّق قميصه ، وإذا غنت المسيئة قعد يخيطه[1] .

فليس عجيبا أن يسخر الأدباء من المغنى أو المغنية إذا كان قبيح الصوت ، لأن المفروض أن يطرب المغنى لا أن يُنَفِّر ويؤذى . فإذا اجتمع فى المغنى أو المغنية قبح الصوت وقبح الشكل فقد باء بالرذيلتين ، وكان هدفا لسهام الأدباء وسخريتهم .

* قال ابن الرومى فى مغنية :

عنَّتْ فمسَّ القلب كلُّ كَرْبِ واستوجبَتْ منا أليم الضربِ

لها فمٌ مثلُ اتساع الدَّرْبْ بَقْبَاقَةٌ كبقبقات الحُبِّ

هَدَّارةٌ مثلَ هدير النجْبِ وهى على ما أظهرتْ من عجْبِ

---

(١) راجع كتاب (المرأة فى الشعر الجاهلى) للمؤلف ٤٣٨ — ٤٦٥

وتدعيه من شجاً وحُبٍّ وتشتكيه من رياح الجَنْبِ
نافرةُ الصوتِ خروجَ الضَّبِّ حسبي بها يانديمى حسبي
قد أصدأت سمعى وغمت قلبى[1]

* وقال أيضاً فى مغنية :

فيْنَةٌ ملعونة من أجلها رفض اللهوَ معاً من رفضه
تضغط الصوتَ الذى تشدو به غُصَّةٌ فى حلقها معترضة
فإذا غَنَّتْ بدا فى جيدها كلُّ عرقٍ مثلَ بيت الأَرَضه[2]

* وقال فى مغن :

وكأن جُرْزانَ المحلة كلَّها فى حَلْقِهِ يقْرِضْنَ خبزايابسا[3]

* قال شاعر فى مغن قبيح الغناء :

ويحسب النَّدمانُ فى حلقه دجاجةً يَخْنُقها ثعلب

* وقال آخر :

نحمد الله فإنا قدسمعنا ما كِرْهنا

* وقال آخر :

فأحْسِنْ بحالك لو خَرِسْتَ وأحْسِنْ بنا لورُزِقْنا الصَّمَمْ

* قال جحظة ، وقد دعاه صديق له كان يعده بجارية فائقة حاذقة ، فلما رآها وجدها قبيحة ، ولما سمعها آذاه صوتها :

---

(١) ديوان ابن الرومى ١١ بقباقه . صوتها يشبه صوت الكوز فى الماء . الحب : الزير . النجب : الإبل الجياد . هدارة : تردد صوتها فى حنجرتها كما يفعل البعير
(٢) الديوان ٧١ الأرضة : حشرة تأكل الخشب (٣) محاضرات الأدباء ١ / ٤٤٤

قد دعانا فأرانا خُنفساةً خَلْفَ عود
وتغنت من قيام كالمغنى من قُعود

* وقال ابن العميد فى مغن قبيح الصوت والمنظر :

إذا غَنىَّ لنا أَعمىً حشوتُ مسامعى صمما
وإن أبصرتُ طلعته كَحَلْتُ نواظرى بعمى[1]

* قال ابن قلاقس فى عازفة على العود رديئة العزف والغناء :

عوادةٌ غَنَّتْ لنا صوتا يشبه نَزْع الروح والموتا
شبهتها من فوق أوتارها بعنكبوت نسجَتْ بيتا[2]

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٤٤٤
(٢) ديوان ابن قلاقس ٢١

التهكم بالعيوب الخلقية والنفسية

١ — التهكم لون من السخرية ، يراد به نسبة عيب إلى شخص أو تفخيم عيب فى شخص ، وسيلة إلى تهذيبه وإصلاحه ، ليخاف ذلك العيب إن لم يكن فيه ، وليبرأ منه كله أو بعضه إن كان فيه . فهو إذاً نوع من الزجر والردع شبيه بالعقوبة ، لكن أخف منها وقعاً ، وإن اتفق معهما فى الغاية منه ، وهى خدمة الفرد والمجتمع .

ومبعث التهكم الرغبة فى الإصلاح . لذلك عده أناتول فرانس عديل الشفقة فى خدمة المجتمع ، وإصلاح شئون الحياة والناس . وذهب إلى أن التهكم يحبب إلينا الحياة بابتسامته ، كما أن الشفقة تُقَدِّر الحياة بدموعها[1] .

وهو الوسيلة للسخرية من الحمقى والأشرار والمعْوَجِّين ، وهذه السخرية هى التى تحول بيننا وبين كراهيتهم ، لأن ضحكاتنا وسخريتنا تخفف من غيظنا .

٢ — ولقد نرى أن التهكم يلتبس بالهجاء أو بالتعريض أو بالدعابة .

لكننا إذا أمْعَنَّا فى النظر استطعنا أن نفرق بينه وبينها

(ا) أما الفرق بين التهكم والهجاء فهو أن الهجاء صادر عن نفس واجدة غاضبة حاقدة ، بينما التهكم صادر عن نفس ساخرة ناقدة ، مبرأة من الحقد والموجدة . ثم إن الغرض من الهجاء التجريح والتشهير والانتقاص والمدوان ، بينما الغرض من التهكم التهذيب والتقويم والإصلاح . ويكثر فى الهجاء السبُّ والإقذاع ، لكن التهكم لا سب فيه ولا إقذاع .

---

(١) الجاحظ معلم العقل والأدب ٢٠٠

(ب) وأما الفرق بينه وبين التعريض فهو أن التعريض لا يصرّح فيه بالفكرة المقصودة، على حين أن التهكم قائم على التصريح .

(حـ) وأما الدعابة فهى تَفَكُّهٌ بين الأودّاء والأصدقاء، وليس لها من غرض إلا الضحك والإضحاك، ومن هنا يغايرها التهكم، لأنه يرمى إلى الإصلاح والتهذيب .

٣ — والأساس الذى يقوم عليه التهكم هو المرح النفسى عند المتكلم، وبراعته فى تصوير الفكرة التى يريدها تصويرا فكها، فى غير ماسخط ولا تجريح ولا سباب وهدم . وكثيرا ما يتذرع بالمبالغة للتهويل وتضخيم الصورة التى يرسمها .

والأديب حين يتهكم يربط ما بين الأشياء والأمور الواقعة وما يجب أن تكون عليه من مُثُل الكمال أى أنه يقابل الواقع على ما فيه من تخلف أو فساد أو نقص بالكمال الذى يراه الهدف والغاية .

٤ — وقلما نجد إنسانا كاملا، حاليا بالفضائل الخلقية التى تعارف عليها مجتمعه، وحض عليها دينه أو قانونه . غير أن الناس يختلفون فى نصيبهم من العيوب، ويختلفون فى نوع العيوب، بحيث يقرب بعضهم من الكمال، ويُسِف بعضهم إلى الحضيض . بل إن الشخص الواحد قد تختلف عيوبه فى شبيبته عن عيوبه فى كِبْرته، وتختلف عيوبه فى وطنه عن عيوبه فى غربته، وتغاير عيوبه وهو بين أهله عيوبه وهو بين البُعداء .

لكن العيوب الخلقية ليست كلها مثيرة للضحك، وإنما يثير الضحك بعضها إذا عُرض علينا عرضا يُنَوِّم انفعالنا، ويوقظ عقولنا .

فما هذا النوع المثير للضحك ؟

أما هذا النوع الذى يثير ضحكنا فهو العيوب التى لا يتعدى ضررها صاحبها، وقلما يتجاوزه إلى غيره من الناس . وإن أصاب ضررها غير صاحبها مَسَّه مسًّا خفيفا ضعيفا وغير مباشر . ونستطيع أن نقول إنها العيوب التى لا تساير المُثل العالية للمجتمع ، كالبخل والجبن والكسل والغرور وحب للظهور . فهى على نقيض العيوب الخلقية التى لا ينحصر ضررها فى المعيب بها ، وإنما يتعداه إلى غيره من الناس ، كالميل إلى سفك الدماء ، وسلب الأموال ، والفجور ، والغش والخيانة وغيرها من الجرائم الهدّامة للمجتمعات . ولا شك أن هذه الجرائم تثير الخوف أو السخط أو الألم أو الاشمئزاز أو الإشفاق ، وهذه الإثارة تباعد بينها وبين إثارة الضحك .

٥ — من صور التهكم بالبخل أن الرشيد قال للجماز .

كيف مائدة محمد بن يحيى البرمكى ؟ فقال : شِبرٌ فى شبر ، وصَحْفة من قِشْر الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف مَضْرِبُ كرة ، وبين اللون واللون فَتْرة نبيٍّ . قال الرشيد : فمن يَحْضُرُها ؟ قال : الكرامُ الكاتبون . فضحك المهدى ، وقال : لحاك الله من رجل[1] .

التهكم هنا بَيِّنٌ فى وصفه للمائدة بالصغر والضيق ، وفى وصفه للصحفة بالرداءة والخشونة والصغر ، وفى وصفه لقلة الأرغفة وتباعد ما بينها ، وفى قوله إن أصناف الطعام تجىء على بطء وتباعد . ثم فى إجابته عن سؤال الرشيد عمن يحضر هذه المائدة ؟ بقوله : الملائكة الموكّلون بعدِّ الذنوب والحسنات ، أى لا يحضرها أحد من الناس ، ولا يشهدها إلا الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ٢/٥٨

ومن ذلك قول أبى الشمقمق (مروان بن محمد) فى طعام جعفر بن أبى زهير :

رأيتُ الخبز عزّ لديك حتى ... حَسِبْتُ الخبز فى جوّ السحاب
وما رَوَّحْتنا لتَذُبَّ عنا ... ولكنْ خِفْتَ مَرْزِئةَ الذباب[1]

فهو يصفه بالبخل صادقا أو متجنيا ، لكنه خفيف الظل فى وصفه ، وقد استطاع بمهارته أن يؤول حرص جعفر على إكرام ضيوفه وراحتهم ونظافة طعامهم حينما كان يُرَوِّح عليهم ، ويطرد الذباب بعيدا عنهم ، استطاع أن يؤول هذا العمل الحسن تأويلا آخر ، ليجعله دليلا عمليا على الشح ، حتى لقد كان جعفر يخشى أن يذهب الذباب ببعض الطعام . فهو إذاً لا يهمه أن يلوث الذباب طعامه وإنما يهمه ألا يحمل منه الذباب شيئا . أما النوع الذى لا يدخل فى باب الفكاهة فمثل قول جرير فى بنى تغلب :

والتَّغْلبىُّ إذا تنحنح ضَيْفُه ... حكّ استَه وتَمَثَّل الأمثالا

ومثل قول الأخطل :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبهم ... قالوا لأمهمُ : بولى على النار

لأن هنا تجريحا وتحقيرا مقصودا ، وهجاء مرا .

٦ — ومن التندر بالثِّقل قول البهاء زهير فى زائر سمج :

وعائدٍ هو سُقْمٌ ... لكل جسمٍ صحيح
لا بالإشارة يدرى ... ولا الكلام الصريح
وليس يخرج حتى ... تكاد تخرج روحى[2]

(١) البخلاء ١/١٣٢ والعقد الفريد ٣/٢٣٤ وعيون الأخبار ٢/٣٦
(٢) ديوان البهاء زهير ٣٨

فهو هنا وصف زائره بالسماجة والغباء وثقل الروح ، فى غير تهجم على شرفه أو أصله وفى غير إفحاش . وشتان بين هذا وقول الحطيئة فى أمه :

تَنَحَّىْ واجلسى عنى بعيدا أراح الله منك العالمينا

أغرْبالا إذا استودعت سِرّا وكانونا على المتحدثينا ؟

حياتك ما علمتُ حياة سوط وموتك قد يسرُّ العالمينا

لأن الشخص لا يتفكه بأمه ، ولأن هذا هجاء وبغضاء ودعاء بالهلاك ، لا فكاهة . ثم إنه يصفها بإفشاء الأخبار ، وإذاعة الأسرار ، والفضول ، إذ تَزُجُّ بنفسها بين المتحدثين ، فيستثقلونها ، ويحذرونها . وفى وصفه هذا لها — وهى أمه — تهوين من شأنها ، وتحقير لها ، وتحريض على بغضتها .

٧ — ومن صور التهكم بالجور فى الحكم ماقاله المتوكل الليثى فى الشَّعْبى القاضى ، إذ خاصمت امرأة صبيحة الوجه زوجها إليه ، فقضى لها على زوجها :

فُتِن الشَّعْبىْ لما رفَع الطَّرْفَ إليها

فتنته بينان وبخَطّىْ حاجبَيْها

فقضَى جَوْراً على الخَصْم ولم يَقْضِ عليها

كيف لو أبصر منها نَحْرَها أوساعدَيْها ؟

لصَبَا حتى تراه ساجدا بين يَدَيْها

فولع الناس بهذه الأبيات أو تناشدوها ، حتى اضطر الشعبى إلى الاستعفاء من القضاء[1] والتهكم هنا ناشىء عن تصوير القاضى — وهومظنة العدالة — قد جار وظلم ، مفتونا بجمال المرأة ، وفى تخيله ساجدا بين يديها — وهو مظنة

(١) محاضرات الأدباء ١ / ١٢٧

الوقار — لو أنه رأى نحرها وساعديها . هذا إلى مافى الأبيات من قِصَر الوزن، وحلاوة التعبير ، وجَرْس القافية وخفتها .

أمثلة أخرى للتهكم بالبخل

تعارف العرب من قديم الزمان على الكرم ، وعدوه فضيلة كبرى ، يباهون بها ، ويمدحون بها ويشيدون بآثارها ، وجَعَل الشعر العربى بالكرم فى عصور الأدب كلها[1] : ويظهر أن الشرقيين بعامة كانوا كرماء ، على تفاوت بينهم فى البذل والسخاء .

ولكن هذا لا ينفى أنه كان فى العرب وغيرهم من الشرقيين بخلاء ، على ما فى البخل من نقيصة يبغضها المجتمع[2] .

وإذْ كان الكرم فضيلة لها قيمتها وأثرها فقد كان البخل رذيلة ، وكان البخلاء الأشحاء مُبَغَّضين إلى الناس ، وكانوا أهدافا لسهام الأدباء ، ومثارا للتهكم والتندر عليهم .

* قال أشعب : اطلبوا لى امرأة أتجشَّأ فى وجهها فتشبع ، وتأكل فَخِذ جرادة فَتَتْخَم[3] .

* أحضر بعض ولاة المدينة مُزَبِّد المدنى ، وقد اتهمه بشرب الخمر ، فلما شم فمه لم يجد رائحة الخمر ، فقال قيئوه . فقال مُزَبِّد : ومن يضمن عشائى أصلحك الله[4] ؟

* قال أبو نواس فى بخل الفضل :

رأيتُ الفضل مكتئبا ينافى الخبز والسمكا

---

(١) راجع(الحياة العربية من الشعر الجاهلى)للمؤلف ٢٤٠ — ٢٥٢

(٢) الحياة العربية ٢٥٢ — ٢٥٨

(٣) فوات الوفيات ١ / ٢٢ (٤) فوات الوفيات ٢ /٣٠٤

فأسبل دمعه لما رآنى قادما وبكى
فلما أن حلفت له بأنى صائم ضحكا

* قال أبو نواس فى بخل إسماعيل بن صبيح كاتب الأمين :

خبز إسماعيل كالوَشْى إذا ما انشقَّ يُرْفَى
إن رفَّاك هذا أحذقُ الأمة كفًّا
عجباً من أثر الصَّنْعة فيه كيف تَخْفَى
أحكم الصنعةَ حتى لا يُرَى مَطْعَنُ إشفَى
وله فى الماء أيضاً فطنةٌ أبدع ظرفا
يَمْزُجُ المالح بالعذ ب لكى يزداد ضِعْفا
وهو لا يَشْرَبُ منه مثل ما يشربُ صِرْفا(١)

* قال أبو الفتح بن كُشاجم فى بخيل :

صديقٌ لنا من أبرع الناس فى البخل وأفضلهم فيه ، وليس بذى فضل
دعانى كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتى إلى مثله مثلى
فلما جلسنا للطعام رأيته يرى أنه من بعض أعضائه أكلى
ويغتاظ أحيانا ويشتم عبده وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلى
فأقبلت أستَلُّ الغذاء مخافةً وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلى
أمُدُّ يدى شَرَّا لأسرق لقمة فيلحظنى شَزْراً فأعبثُ بالبَقْل

(١) الوزراء والكتاب ٣٠٨

إلى أن جَنَتْ كفى لحتْفى جنايةً وذلك أن الجوع أعدَمنى عقلى
فَجَرَّتْ يدى لِلَحْيَين رجلَ دجاجةٍ
فَجُرَّتْ — كما جَرَّتْ يدى رجلها — رجلى
وقدِّم من بعد الطعام حلاوةً فلم أستطع فيها أُمِرَّ ولا أحلى
وقلتُ لوَ انى كنت بَيَّتُّ نِيَّةً
ربحْتُ ثواب الصوم معْ عدم الأكل[1]

* قال آخر :

أبو نوح أتيت إليه يوما فَغدَّانى برائحة الطعام
وقدَّم بيننا لحما سمينا أكلناه على طَبَق الكلام
فلما أن رفعتُ يدى سقانى كئوسا حَشْوُها رِيحُ المُدام
فكنتَ كمن سقى الظمآن ماء وكنتُ كمن تغدى ، فى المنام[2]

* وللجاحظ فى تصوير أحوال البخلاء قدرة قديرة ، وبراعة نادرة ، وليس فى كتب العربية كلها كتاب مثل (البخلاء) فى اعنائه وتعدد ألوانه وطرافة صوره .

من حكايات البخل التى فيه ، قصة معاذة العنبرية .

قال الجاحظ : اجتمع ناس من المسجدين ممن ينتحلون الاقتصاد فى النفقة والتنمية للمال ، من أصحاب الجَمْع والمَنْع ، وكانوا إذا التقوا فى حِلَقهم تذاكروا البخل وتطارحوه ، وتدارسوه . فقال شيخ منهم . لم أر فى وضع الأمور

---

(١) يتيمة الدهر ١/٢٤٧
(٢) العقد الفريد ٣/٢٣٢

مواضعها ، وفى توفيتها غاية حقوقها ، كمعاذة المنبرية . قالوا : وما شأن معاذة هذه؟ قال : أهدى إليها فى هذا العام ابن عم لها أُضْحِيَةً ، فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة . فقلت لها : مالك يامعاذة ؟ .

قالت : أنا أرمَلَةٌ ، وليس لى قَيِّمٌ ، ولا عهد لى بتدبير لحم الأضاحى ، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ، أو يقومون بحقه . وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها أماكنها . وقد علمتُ أن الله لم يخلق فيها ولا فى غيرها شيئا لا منفعة فيه . ولكن المرء يعجز لا محالة . ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجرّ تضييع الكثير . أما القرن فالوجه فيه معروف ، وهو أن يجعل كالُخطَّاف ، ويُسَمَّر فى جذع من جذوع السقف ، فيُعلق عليه كل ماخِيفَ عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وَرْدَان [1] والحيات وغير ذلك .

وأما المَصْرَانُ فإنه لأوتار المندفة ، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة .

وأما قِحْف الرأس واللَّحْيان أو سائر العظام ، فسبيله أن يُكَسَّر بعد أن يُعْرَق [2] ، ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدَّسَم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ، ولغير ذلك ، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ، فلم ير الناس وقودا قط أَصْفى ولا أحسن لهبا منها ، وإذْ كانت كذلك فهى أسرع فى إنضاج القِدر لقلة مايخالطها من الدخان .

وأما الإهابُ فالجِلْدُ نفسه جرَابٌ ، وللصوف وجوه لا تُدفع .

وأما الفَرْثُ والبَعْرُ فحَطَبٌ إذا جُفِّف عجيب .

ثم قالت : بقى الآن علينا الانتفاع بالدم ، وقد علمت أن الله عز وجلّ لم يُحَرِّم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه . وإن له مواضع يجوز فيها ولا يُمْنَع منها ،

---

(١) الصراصير (٢) يؤكل ماعليه من اللحم

وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به صار كَيْنَة فى قلبى ، وقَذًى فى عينى ، وهماً لا يزال يعاودنى .

قال الشيخ : فلم ألبث أن رأيتها قد تَطَلَّقَتْ وتَبَسَّمَتْ . فقلت : ينبغى أن يكون قد انضح لك باب الرأى فى الدم . قالت : أَجَلْ ، تذكرت أن عندى فدورا شامية جُدُداً ، وقد زعموا أنه ليس شىء أدْمَعَ ولا أزْيَدَ فى قُوَّتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم . وقد استرحت الآن ، إذ وقع كل شىء موقعه .

قال الشيخ : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قَديد[1] تلك الشاة ؟ قالت : بأبى أنت ، لم يجىء وقت القديد بَعْدُ . لنا فى الشحم والأَلْيَة والحُقُوب والعظم المعروق وغير ذلك معاش ، ولكل شىء إبَّان[2] .

فقبض أحد الأَشِحَّاء من السامعين قبضة من حَصىً ، ثم ضرب بها الأرض ، ثم قال : لا تعلمُ أنك من المسرفين حتى تسمع بأخبار الصالحين[3] .

فى هذه القصة حكاية فى تصوير حرص معاذة وشحها ، حتى إنها كانت فى حزن من عجزها أول الأمر عن الانتفاع بكل شىء من الشاة المهداة إليها ، إلى أن وجدت لما يُرْمى نفعا ، حتى الدم والقرون والعظم والفرث والبعر . وحكاية فى عَجَبها من أن يسألها الشيخ بعد ستة أشهر عن القديد ، لأنها قضت تلك المدة الطويلة فى أكل الشحم والألية والعظام التى كشطت عنها لحمها وادخرته ، فلم يكن وقت اللحم قد جاء . وفى ختام القصة حكاية لطيفة فى تصوير البخيل الذى سمع القصة ، فقبض قبضة من حصى ، وضرب بها الأرض ، دلالة على تعجبه وإعجابه ، وتنبهه إلى ما كان قد غفل عنه . ثم قوله : لا تعلم أنك من المسرفين حتى

---

(١) القديد . اللحم المحفف المملح فى الشمس (٢) وقت (٣) البخلاء ٦٨/١

تسمع بأحبار الصالحين ، فهو إذاً — على بخله — مسرف فى نظر نفسه بالنسبة إلى حرص معادة .

* ذكر الجاحظ أن أحمد بن خلف اليزيدى ورث عن أبيه ألف ألف وثلاثمائة ألف درهم ، وسبعين ألف دينار ، ذهبا عَيْنا ، سوى القروض . فقال له الجاحظ وقد ورث هذا المال كله : ما الذى أبطأ بك الليلة البارحة فى البيت ؟ قال : لا شىء ، إلا أنى تمشيت البارحة فى البيت . فقال الجاحظ لأصحابه : لولا أنه بعيد العهد بالأكل فى بيته ، وأن ذلك غريب منه ، لما احتاج إلى هذا الاستثناء . وأين يتمشى الناس إلا فى منازلهم ؟ وإنما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة : لا شىء إلا أن فلانا حبسنى ، أو أن فلانا عزم علىّ .

واستطرد فقال : وكان أحمد بن خلف لا يفارق منازل إخوانه وهم محاصيبُ[1] يتناوبون الطعام . وأصحابُ عطاء وترف ، وكانوا يتحفونه ويدللونه ويُفَكِّهونه[2] ويحكِّمونه ، ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة ، وأن يحملوا بنته نزهة ونَشْوَة . فلما طال تغافله ، وطالت مدافعته . وعَرَّضوا له بذلك فتغافل ، صرَّحوا له . فلما امتنع قالوا : اجعلها دعوة لبس لها أخت .

فلما بلغ منه ومنهم المجهود صنع لهم طُعَيِّما خفيفا شهيا مليحا لا ثمن له ، ولا مؤنة فيه . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم أقبل عليهم فقال : أسألكم بالله الذى لا شىء أعظم منه ، أنا الساعة أيْسَرُ وأغنى أو قبل أن تأكلوا طعامى ؟ قالوا . ما نشك أنك حين كنت والطعام فى ملكك أغنى وأيسر . قال : فأنا الساعة أقرب إلى الفقر أم تلك الساعة ؟ قالوا : بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر . قال : فمن يلومنى على ترك دعوة قوم قرَّبونى من الفقر ، وباعدونى من الغنى ، وكلما

(١) أصحاب حير (٢) يؤنسونه بملح الحديث

دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب ، ومن الغنى أبعد ؟

ثم علق الجاحظ بقوله : وفى قياسه هذا أن من رأيه أن يهجر كل من استسقاه شَرْبة ماء ، أو تناول من حائط لَبِنةً ، ومن عَلَف دابة عودا[1]

* قال الجاحظ :

من أعاجيب أهل مَرْوَ أنهم ربما ترافقوا وتراملوا فاشتركوا فى شراء اللحم . وإذا اشتروا اللحم فسموه قبل الطبخ ، وأخذ كل إنسان منهم نصيبه ، فشكّه بخوصة أو بخيط ، ثم أرسله فى خَلِّ القِدْر والتوابل . فإذا طبخوا تناول كل إنسان حيطه ، وقد علمه بعلامة ، ثم اقتسموا المرق . ثم لا يزال أحدهم يَسُلُّ من الخيط القطعة بعد القطعة ، حتى يبقى الحبل لا شىء فيه ، ثم يجمعون خيوطهم ، فإن أعادوا المشاركة أعادوا تلك الخيوط ، لأنها قد تشربت الدسم ورَوِيَتْ .

وليس اشتراكهم من طريق الرغبة فى المشاركة ، ولكن لأن قطعة كل واحد منهم لا تبلغ المقدار الذى يحتمل أن يطبخ وحده ، ولأن المُؤْنةَ تحف أيضاً فى الحطب والخل والثوم والتوابل ، ولأن القِدْر الواحدة أمْكَنُ من أن يقدر كل واحد منهم على قِدْر[2] .

* وقال أيضا :

ترافق جماعة من خراسان فى منزل ، وصبروا عن الانتفاع بالمصباح ما أمكن الصبر . ثم إنهم اشتركوا فى شراء زيت المصباح فيما بينهم على التساوى . وأبى واحد منهم أن يعينهم ، وأن يدخل فى الشركة معهم ، فكانوا إذا جاء الليل وأوقدوا المصباح شَدُّوا عينيه بمنديل . ولا يزال ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح ، فإذا أطفئوه أطلقوا عينيه[3] .

(١) البخلاء ١/٨١ (٢) البخلاء ١/٥٤ (٣) البخلاء ١/٤٧

* قال الجاحظ :

لم أر الديك فى بلدة قَطُّ إلا وهو لاقطٌ ، يأخذ الحبة بمنقاره ، ثم يَلْفِظها فدَّامَ الدجاجة ، إلا دِيَكَةَ مَرْو ، فإنى رأيت ديكة مَرْوَ تَسْلُبُ الدجاجَ ما فى منافيرها من الحب ، فعلمت أن بحلهم شىء فى طبع البلاد ، وفى جواهر الماء ، فمن ثَمَّ عَمَّ جميع حيوانهم[1] .

* قال الجاحظ :

يقول المَرْوَزِىُّ[2] للرائر إذا أتاه ، وللجليس إذا طال جلوسه : هل تغديتَ اليومَ ؟ فإن قال : نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بغَداء طيب . وإن قال : لا ، قال : لو كنتَ تغديت لسقيتك خمسة أقداح من نبيذ . فلا يصير فى يده على الوجهين قليل ولا كثير[3] .

* قال رجل لسهل بن هارون : هَبْنِى مالا مَرْزِئة عليك فيه . قال : وما ذاك يا بن أخى ؟ قال : درهم واحد . قال : يا بن أخى ، لقد هَوَّنْتَ الدرهم وهو طائع الله فى أرضه الذى لا يَعْصِى . والدرهم ويحك عُشْرُ العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائه عشر الألف ، والألف دِيَةُ المسلم . ألا ترى يابن أخى إلى أين انتهى الدرهم الذى هَوَّنْتَه وهل بيوت المال إلا درهم على درهم[4] ؟

صحب الغاضِرِىّ قرشيا من مكة إلى المدينة : فقال القرشى لغلامه : يا غلام ، أطعمنا دجاجة . فأتى بها باردة . فقال القرشى : وَيْحَك ، أسْخِنْها . ورُفع عداؤهم ، ولم يحضر الغلام الدجاجة . فلما كان العَشاء ، قال القرشى لغلامه : يا غلام ، هات عشاءنا . فلما أتاهم به قال : هات تلك الدجاجة . فأتى بها باردة . فقال له : أسخنها . فقال العاضرى : أخبرونى عن دجاجتكم هذه .

(١) البخلاء ١/٤٦ (٢) نسبة إلى مرو بخراسان (٣) البخلاء ١/٤٥
(٤) العقد الفريد ٣/٢٣٦

أمن آل فرعون هى ؟ وإنى أراها تعرضُ على النار غُدُوّا وَعَشِيّا . فقال القرشى : ويحك يا غاضرى ، اكتمها علىّ ، ولك منى مائة دينار . فقال : والله ما كنت لأبيعها بشىء[1] .

* قال ابن الرومى فى عيسى بن منصور :

يُقَتِّر عيسى على نفسه ... وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتبره ... تَنَفَّس من منْخِرٍ واحد[2]

* أكل رجل مع هاشمى ، فكانت على مائدته أرغفة متفرقة ، فلما فرغ من رغيفه ، قال : يا غلام ، هات فرسى . فقال الهاشمى : وما تصنع بفرسك الآن ؟ قال : أركبه إلى دلك الرغيف البعيد .

* قال شاعر فى وصف عرس :

مات فى عُرْسٍ سليما ... ن من الجوع جماعه
مات أقوام ، وقوم ... عُلموا فيه القناعه
لم يكن ذلك عرسا ... إنما كان محاعه

* أضاف رجل أعرابياً ، ولم يأته بشىء ، حتى غُشِى عليه من الجوع فأخذ يقرأ عليه القرآن . فقال الأعرابى :

لخُبْزٌ يا أُخَىَّ عليه لحمٌ ... أحبُّ إلىَّ من حُسْن القرانِ
تظل تُدَهْدِه القرآنَ حَوْلى ... كأنى من عفريت الزمان[3]

* تغدى الجمّازُ عند هاشمى ، فمر الغلام بصحفة ، فقطرت منها قطرة على

(١) ذيل زهر الآداب ١٢٤ (٢) ديوان ابن الرومى ٣٧٥
(٣) محاضرات الأدباء ١/٤٠٧

ثوب الجماز . فقال الهاشمى : إيته بطست ليغسلها . فقال الجماز : دَعْه ، فإن مرقتكم لا تغير الثياب[١] .

* قال أصحاب محمد بن الجهم يوما له : نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار رعبتك ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟ . قال : علامة ذلك أن أقول : يا غلام ، هات الغداء[٢] .

* كان المَرْوزىُّ إذا أطعم أصحابه يستلقى على قفاه ، ثم يتلو قوله تعالى : إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا[٣] .

* قال أبو نواس :

رأيت دُورَ الناس سُوداً من الطلا
ودُرَّ الرَّفَاشِيِّين زهراء كالبدر
يَعِيقُ بِحَيْزُوم البعوضة صدرها
ويَخْرجُ ما فيها على فُلامة الظُّفر
إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها
أمامهم الحَوْلِىُّ من وَلد الذَّر[٤]

* قال شاعر :

إن هذا الفتى يصون رغيفا
ما إليه لناظر من سبيل
هو فى سُفْرَتَيْن من أدَم الطا
ئف ، فى سَلَّتين ، فى منديل
فى جراب ، فى جوف تابوت موسى
والمفاتيحُ عند ميكائيل[٥]

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٤٠٩ (٢) العقد الفريد ٣/٢٢٨
(٣) العقد الفريد ٣/٢٢٩
(٤) العقد الفريد ٣/٢٣٤ الحيزوم . ما دار حول البطن والظهر : الدر . صغار النمل
(٥) العقد الفريد ٣/٢٣٤

* قال شاعر :

أتانا بخبر له حامض ... كمثل الدراهم فى رقته
إذا ما تنفس حول الخوان ... تطاير فى البيت من خفته
فنحن كُظُومٌ له ، كلُّنا ... يرد التنفس من خشيته
فيكلمه اللحط من رقة ... ويأكله الوهم من فلّته[1]

* مرَّ عمر بن ميمون بطريق من طرق الكوفة ، فإذا هو برجل يخاصم جارا له . فقال : ما بالكما ؟ فقال أحدهما : إن صديقا لى زارنى، واشتهى أن أطعمه رأسا ، فاشتريته له وتغدينا . فأخذت عظام الرأس ، ووضعتها عند باب دارى ، لأتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا ، وأخذها ، ووضعها على باب داره ، ليوهم الناس أنه هو الذى أكل الرأس[2] .

* قال ابن سُكَّرة :

أكلت بالأمس مزورية ... تُخبِرُ عن خِسَّة أربابها
للّحم فيها أثر دارس ... كأنما مرَّ على بابها[3]

* قال شاعر فى وصف بخيل :

لو عبرَ البحر بأمواجه ... فى ليلة مظلمة بارده
وكفُّه مملوءة خَرْدلاً ... ما سقطت من كفه واحده[4]

* أتى شاعر رجلا ، فسأله أن يعطيه ، فما زاده الرجل على التنحنح والتحوقل. فقال الشاعر :

---

(١) العقد الفريد ٣ / ٢٣٣ (٢) العقد الفريد ٣ / ٢٣٠
(٣) محاضرات الأدباء ١ / ٤٠٩ (٤) محاضرات الأدباء ١ / ٣٧٢

ولا حَـــولَ إلا بالإله وقوة إذا قُلْتها دَلّت على طرق البخل
وإنى لأرجو أن أفوز بأجرها كما قلتها بعد التنحنح من أجلى (١)

* قال عبد الملك بن عبد الحميد فى بخل رجل اسمه عثمان :

المـــاء فى دار عثمان له ثمن والخبز فيها له شأن من الشان
عثمان يعـــلم أن الحمد دو ثمن لكنه يشتهى حَمْداً بمجّان
والناس أكْيسُ من أن يحمدوا أحدا حتى يَرَوْا عنده آثار إحسان (٢)

* قال عبد المحسن الصورى (المتوفى سنة ٤٧٣ هـ) فى صديق له بخيل ، نزل ضيفا عليه ، فلم يكرمه :

وأخٍ مسَّه نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيـــل لى : إنه جواد كريم والفتى يعتريه بُخْلٌ وشُحُّ
بِتُّ ضـــيفا له كما حكم الدهـــر ، وفى حكمه على الحر قُبْحُ
قال لى إذ نَزَلْتُ وهو من السَّـــكرة والهمِّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تَغَرَّبْتَ ؟ فلت : قال رسول اللـــه ، والقول منه نُصْحٌ ونُجْحُ
سافروا تَغْنَموا . فقال : وقد فا ل تمامَ الحديث : جوعوا تَصِحُّوا

* قال الحمدونى فى تصوير بخل أبى زرارة .

رأيت أبا زُرارةَ قال يوما لحاجبه وفى يده الحسامْ
لئن وُضع الخوانُ ولاح شخص لأختطفَنَّ رأسك والسلامْ
فقال : سِوَى أبيك فذاك شبخ بغيـــض ليس يَرْدَعه الكلام

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٣٧٣ (٢) وفيات الأعيان ٦ / ٦٧ طبعة محى الدين

فقام وقال من حَنَقٍ عليه ... سَيْتٍ لم يُرِدْ فيه القيام

أبى وابْنَا أبى والكلبُ عندى ... بمنزلة إذا حضر الطعام

وقال له : أبِنْ لى ما بنَ كلب ... على حُنْزِى أصادُ رأو أضام

إذا حضر الطعامُ فلا حقوق ... علىَّ لوالدَىَّ ولا ذِمام

فما فى الأرض أقبحُ من حِوان ... عليه الخبز ، يحضره الزحام[1]

* طبخ بخيل طعاما فى قِدْر ، وجلس يأكل ومعه زوجته . فقال : ما أطيب هذا الطعام ، لولا كثرة الزحام . فقالت : وأى زحام ؟ وأين هو ؟ وليس هنا غيرى وغيرك . فقال : كنت أحب أن أكون أنا وحدى وقِدْر الطعام .

* أراد عبد الحميد الديب أن يشرب اللبن عند لبان بالحى الحسينى — اسمه المالكى — إلى أجل ، فرفض اللبان ، فقال الديب متهما الرجل بالغش :

برىء منك مولانا ابن مالكْ ... رماك الله فى شَرِّ المهالكْ

لبانك كلها سمٌّ زُعاف ... ومن غش البرية رأس مالكْ

فَوَيْلَكَ من رجال الحىِّ طرّاً ... ونسوته إذا علموا بذلك

* نزل الجارم ضيفا على بعض الأثرياء فى رمضان ، وكانوا بخلاء ، فقال :

أتى رمضان غير أن ثراتنا ... يزيدونه صوما تضيق به النفس

يصومون صومَ المسلمين نهارَه ... وصومَ النصارى حينما تغرب الشمس[2]

(١) المستطرف ١/١٥٨ (٢) ديوان الجارم ٤/١٠٧

أمثلة أخرى للتهكم بالجبن

طالما أشاد الأدب العربى بالشجاعة والشجعان ، حتى ليبدو لنا أن الفضائل كلها جُمِعَتْ فى اثنتين : الكرم والشجاعة[١] .

لهذا كان الجبن منقصة ، يُعيرُ بها الفرد وتُعيرُ القبيلة ، واجتهد الجبناء فى تبرير جبنهم وتلمس الأعذار لفرارهم[٢] .

ومن هنا أكثر الأدباء من التهكم بالجبناء .

* كان لأبى حيَّة النميرى سيف ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لُعابَ المَنِيَّه .

وقد حدَّث جار له قال : أشرفتُ عليه ليلة وقد انتضاه ، وسمعته يقول . أيها المغترُّ بنا ، المجترىء علينا ، يئس والله ما اخترتَ لنفسك : خبر قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاتخاف نَبْوَتَه . اخرجْ بالعفو عنك ، وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك . إنى والله إن أدْعُ قيسا تملأ الأرض خَيْلا ورَجْلا ، ياسبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها .

ثم فتح الباب ؛ فإذا كلب قد حرج . فقال أبو حية : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا[٣] .

* كان أمية بن عبد الله بن خالد أكولا جبانا ، فقال فيه بعض العراقيين :

إذا صوت العصفور طار فؤاده ... وليْث حديد الناب عند الموائد[٤]

* وقال فيه أيضا :

ضعيف القلب رِعْديدٌ ... عظيم الخَلْق والمنظَرْ

رأى فى النوم عصفورا ... فوارى نفسه أشهُرْ[٥]

* قال شاعر فى جبان اسمه ذُفَافة :

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ٢٥٨ — ٢٦٧ الطبعة الثانيه

(٢) الحياة العربية ٢٦٨ — ٢٧٢

(٣) الأغانى ١٥/٦١ وعيون الأخبار ١/١٦٨ (٤) العقد الفريد ١/١٧٠

(٥) العقد الفريد ١/١٧٠

لو جَرَتْ خيل نُكوصاً لجرَتْ خيلُ ذفافه
هى لا خيلُ رجاءٍ لا ولا خيلُ مخافه[١]

* قال شاعر فى جبن زياد أبى صعصعة :

خرجنا نريد مُغارا لنا وفينا زناد أبو صعصعه
وستة رهطٍ به خمسة وخمسة رهطٍ به أربعه[٢]

* قيل لرجل : ألا تخرج لقتال الأعداء ؟ قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى ، فكيف أسرع إليه إسراعا ؟[٣] .

أشد للتهكم بالشره

القناعة خلة حميدة تدل على رضا صاحبها ، وغضه بصره عما فى أيدى الناس . أما الشره فإنه رديلة تجمع الجشع والأشرة والحرص .

لذلك كان الشره والشَّرْهى مثارا للفكاهة والتهكم .

* قال أشعب : وُهب لى غلام ، فجئت به إلى أمى ، وخفت ان أخبرها بالقصة ، فتموت فرحا . فقلت : وَهَبُوا لى . قالت : أى شىء ؟ قلت : غين . قالت : أى شىء غين ؟ قلت : لام . قالت : وأى شىء لام ؟ قلت ألف . قالت : وأى شىء ألف ؟ قلت : ميم . قالت : وأى شىء ميم ؟ قلت : غلام . فَغُشِى عليها . ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحا[٤] .

* أفطر أشعب فى رمضان مع زياد بن عبد الله الحارثى ، فجاءوا بمَصيرة[٥] .

---

(١) العقد الفريد ١/١٧٠ (٢) العقد الفريد ١/١٧٠ وعيون الأخبار ١/٣١١
(٣) العقد الفريد ١/١٧٠ (٤) الأغانى ١٧ / ٨٣ وفوات الوفيات ١ / ٢٣
(٥) المضيرة . لحم يطبخ باللبن الحامض

فقال أشعب للخادم : ضعها بين يَدَىّ . فوضعها بين يديه فأمعن فيها ، وزياد ينظر إليه . فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ماأظن لأهل السجن إماما يصلى بهم فى هذا الشهر ، فليصلِّ بهم أشعب . فقال أشعب : أو غير ذلك — أصلحك الله — ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف بالطـــلاق ألا أذوق مضيرة أبدا فضحك زياد[1] .

* قال ابن أبى الأسود فى وصف أكول نَهِم :

كأنما فى فيه أحجار الرحا وكأنما فى جوفه تَنُّور[2]

وقال آخر .

ما بين لقمته الأولى إذا ازْدُرِدَتْ وبين أخرى تليها قِيدُ أظفور[3]

* وقال آخر :

يُدارك اللُّقْمَ ولا يَحْشَى الغُصَصْ تَلْقَمها يَقْطَعُ أزرار القُمُصْ[4]

* مرَّ طفيلى بجماعة من الكتاب فى مشربة لهم ، فسلم ، ثم وضع يده يأكل معهم . فقالوا له : أعرفت منا أحدا ؟ قال : نعم ، عرفت هذا . وأشار إلى الطعام . فاتفقوا على أن يقولوا فيه شعرا .

فقال الأول :

لم أر مثل سَرْطه ومَرْطه[5]

وقال الثانى :

وافّه دجاجه ببَطه

---

(١) الأغانى ١٧ / ٨٣ وفوات الوفيات ١ / ٢٢ (٢) تنور : فرن
(٣) قيد : قدر (٤) الغصص : جمع غصة وهى مايعرض فى الحلق
(١) سرطه : لمعه . مرطه : حذبه للطعام وشده نحوه

وقال الثالث :

كأن جالينوس تحت إبْطه

فقال الاثنان للثالث : أما الذى وصفناه من فعله فمفهوم ، فماذا يصنع جالينوس تحت إبطه ؟ قال : يُلْقمه الْخُوارِشْنَ[1] كلما حاف عليه التخمة يهضم بها طعامه[2] .

* تمنى ابن أبى عَتيقَ أن يُهْدَى له حَمَل يتخذ منه طعاما . فسمعته جارة له وهو يحدِّث امرأته بذلك ، فظنت أنه قد أمر أن يشترى له حَمَل . فانتظرتْ إلى وقت الطعام ، ثم جاءت ، فدقت الباب ، وقالت : شممتُ ريح قدوركم ، فجئت لتطعمونى . فقال ابن أبى عتيق لزوجته : جيران يَشَمُّون ريح الأمانى[3]

أمثلة للتهكم بالصفاقة

بعض الناس ثقيل الظل ، بارد الروح ، صفيق الوجه ، يكره الناس لقاءه ، ويمجون حديثه ، ويفرون من مخالطته . ولكنهم لا يضمنون لأنفسهم النجاح دائماً ، فكثيرا ما يهبط عليهم سمج ثقيل ، فيرنّق صفاءهم ، ويقبض صدورهم ، ويثقل نفوسهم بجلوسه أو بحديثه . فهم مُحِقون فى تهكمهم به وسخريتهم منه .

* دخل ثقيل على مريض ، فأطال الجلوس ، ثم قال : مِمَّ تشتكى؟ قال : من طولك عندى[4] .

* قال أبو الحسن هُذَيْل بن عبد الرحمن الإشبيلى :

خليس لنا لا يَبْرَحُ العصرَ قاعدا رمانا به الحرمانُ من حيثما رَمَى

---

(١) الخوارسن بضم الخم وفتحها: الهضوم (٢) العقد الفريد ٣/ ٢٤٠

(٣) عيون الأخبار ١ / ٢٦٣ (٤) محاضرات الأدباء ١/ ٢٧١

له مُقْلَة حَوْلا وعين مريضة وعما قريب سوف يدركه العَمَى
إذا أبصَرتْ عيناى طلعته التى أموت بها غمًّا أرى الموت قد دنا[١]

* قال البهاء زهير فى زائر سمج :

وعائدٍ هو سُقْم لكل حسم صحيح
لا بالإشارة يَدْرِى ولا الكلام الصريح
وليس يخرج حتى تكاد تخرج روحى[٢]

* قال ابن مَمَّاتِىّ الشاعر المصرى (المتوفى ٦٠٦ هـ) فى وصف ثقيل رآه بدمشق :

حكَى نَهْرَيْن ما فى الأر ض مَنْ يحكيهما أبدا
حكى فى خِلْقِه نَوْرَى وفى أخلاقه بَرَدَى

وقد أخذ معنى بيتيه هذين من قول بعضهم :

صاهَى ابن بشران مدينة حِلّتى فكلاهما يوم الفخار فريدُ
ألفاظه بَرَدَى وصورة خَلْقه ثورى ونقص العقل منه يزيد[٣]

قال حافظ إبراهيم فى بائع كتب صفيق :

أديمُ وجهك يا زِنْديقُ لو حُمِلَت منه الوقاية والتجليدُ للكُتُبِ
لم يَعْلُها عنكبوت أينما تُرِكت ولا تُخاف عليها سطوة اللهَب[٤]

(١) لعضون البابعة ٧٠ (٢) ديوان البهاء زهير ٣٨
(٣) وفيات الأعيان ١/٦٨ نورى : نهر بدمشق (٤) ديوان حافظ إبراهيم ١/١٥٠

قال مصطفى صادق الرافعى فى ثقيل :

وثقيـل بات فى نِقم ... وأرانى منه فى نقَـمِ
قال : ألقاك صباح غدٍ ... ياغد عَجَّـلْتَ بالسَّـقَم
لو يقوم الميتون عدًا ... لتـكاسلتُ ولم أقم[1]

* قال الخارم فى ثقيل :

تمّاً له من ثقيل ... دمًا وروحا وطينَـهْ
لو كان من قوم نوح ... لمـا ركبتُ السفينة[2]

* قال على الجندى فى وصف ثقيل :

ثقيل على أرواحنا ثِقَـلَ الحَـجَرْ ... تُلَـقِّـبه من شؤمه زُحَـلُ النَّـشَرْ[3]
تَغِيب بشاشات المُـنَى بحضوره ... وتَهجر أحزان النفوس إذا هَجَـرْ
كأن ثلوجَ القُـطْبِ حشوُ ثيابه ... فإن هو وافى كاد يَقْتُـلنا الخَصَـرْ[4]
وأبْشَـع من ضِحْـك القرود حديثه ... وأقبـحُ من فقرٍ ألمَّ على الكِـبَرْ
يَمُـنُّ على جُلاَّسه بحـــلومه ... وامْـتَعُ منه أن تحالسك الفقر
مـــاليته يوما أحسَّ بأنه ... ثقيل على الروح الخفيفة فانحدر
ويارب لا تُدْخِـلْ جِنانَـك مِثْـلَه ... فَيَهْـرُبَ منها الصالحون إلى سَقَـرْ[5]

---

(١) ديوان الرافعى ٢/١٠١ (٢) ديوان الخارم ٤/١٠٧
(٣) زحل : كوكب سيار بعيد الجو (٤) الخصر : البرد (٥) أخبار الأصفهانيين ٣١٦

أمثلة للتهكم بالغرور

والغرور أيضا مرض نفسى يدفع المصاب به إلى أن يعطى نفسه أكثر من حقها ضعفا أو أضعافا ، وقد ينسب إلى نفسه ما ليس فيها من مزايا ، ويزعم أنه أقدر الناس ، وأذكاهم ، وأبعدهم نظرا ، وأشدهم رأيا ، وأجدرهم بالرياسة والزعامة أو بالتجلة والإكرام .

والناس يرونه فى غروره كاذبا ، لأنهم يعرفون قدره ومكانته ، ويرونه متجاوزا حده ، معتديا على غيره ، لأنه يزعم لنفسه ما ليس له ، ويسلب الناس ما هم جديرون به .

ولا شك أن فى تهكمهم به قصاصا منه ، وتأديبا له ، وحماية للمجتمع منه ومن نظرائه .

* كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعى أنه مفرط فى الطول . وكان مُرَبَّعاً ويُحسّه لسعة بطنه ، واستفاضة خاصرته مُدَوَّرا . وكان جَعْدَ الأطراف ، قصير الأصابع ، وهو فى ذلك يَدَّعى السَّماطة والرشاقة ، وأنه عتيق الوجه ، أحمص البطن ، معتدل القامة ، تام العظم ... فسخر الجاحظ منه فى رسالة (التربيع والتدوير) سخرية مازالت مثار العَجب والضحك .

منها :

١ — « قد علمت أنك لا تحسد على شىء حسدك على حُسْنِ القامة ، وضَخم الهامة[١] ، وعلى حوَر[٢] العين ، وجودة القَدّ . وإنما يَحسُد — أبقاك الله — المرء شقيقه فى النَّسَب ، وشفيعه[٣] فى الصناعة ونظيره فى الجوار ، على طارف[٤] قدره ، أو تالد[٥] حظّه ، أو على كرم فى أصل تركيبه ، ومحارى أعراقه[٦] . وأنت ترعم أن هذه المعانى خالصة لك ،

---

(١) الهامة : الرأس (٢) حور العين : سده بياضها فى شده سوادها (٣) شفيعه فى الصناعه : من خالفه عليها (٤) طارف : جديد (٥) تالد : قديم
(٦) محارى أعراقه : أصوله

مقصورة عليك ، وأنها لاتليق إلا بك ، ولا تحسُنُ إلا فيك أو أن لك الكل ، وللناس البعض ، وأن لك الصافى ولهم المشوب[١] .

ومن غريب ما أعطيت ، وبديع ماأوتيتَ ، أنّا لم نر مَقْدوداً[٢] واسع الحُفْرة[٣] غيرك ، ولا رشيقا مستفيض الخاصرة[٤] سواك .

فأنت المديد ، وأنت البسيط ، وأنت الطويل ، وأنت المتقارب[٥] .

فيا شِعْراً جمع الأعاريض ، وياشخصا جمع الاستدارة » .

فهو قد رسمه جامعا للأضداد ، فإن الحسن القوام لايكون عظيم البطن ضخم الجنبين ، والرشيق لا يكون مترهلا ضخم الوسط . ثم إن الشخص الطويل ليس هو العريض ، وليس هو المتناسب . والقصيدة لاتكون على أوزان عدة ، لأن هذا فساد فى الشعر وتخليط ، لكنه سمّى أحمد بن عبد الوهاب مديدا وبسيطا وطويلا ومتقاربا ، وهى أوزان للشعر لا يجتمع اثنان منها فى قصيدة ولا فى بيت ، وإذاً فإن الرجل جسمه كله خلط واضطراب وفساد ، فليس جميلا كما يدعى ، وليس محسودا على كمال جسمه كما تحدث عنه الجاحظ فى أول الرسالة .

ثم يقول : بل مايهمك من أقاويلهم ، ويتعاظمك من اختلافهم ، والراسخون[٦] فى العلم ، والناطقون بالفهم ، يعلمون أن استفاضة عَرْضك قد أدخلت الضيم على ارتفاع سُمْكك ، وأن ما ذهب منك عَرْضا قد استغرق ماذهب منك طولا .

ولئن اختلفوا فى طولك لقد اتفقوا فى عَرْضك ، وإذ قد سَلّموا لك بالرغم

---

(١) المشوب : المختلط غير الصافى (٢) المقدود : الحسن القوام

(٣) الحفرة : مايجمع الصدر والجنبين (٤) مستفيض الخاصرة : ضخم الوسط مترهل

(٥) المديد : الطويل . البسيط : العريض . المتقارب : المتناسب . وهى فى الوقت نفسه أسماء لبعض بحور الشعر

(٦) الثابتون فى علمهم

شطرا[١] ، ومنعوك بالظلم شطرا ، فقد حصّلت ما سلّموا ، وأنت على دعواك فيما لم يُسلّموا .

فأيُّ قدٍّ أردأ ، وأيُّ نظام أفسدُ ، من عرْض مجاوز للقدْر ، وطول مجاوز للقصْد ؟

٢ — ألست خلَف الأخيار ، وبقية الأبرار ؟ وأى أمرك ليس بغاية ، وأى شىء منك ليس فى النهاية ؛ وهل فيك شىء يفوق شيئاً ، أو يفوقه شىء ، أويقال لولم يكن كذا لكان أحسن ، ولو كان كذا لكان أتم ؟ وأين الحُسْنُ الخالص والجمالُ الفائق ، والحلاوةُ التى لا تستحيل[٢] ، والتمامُ الذى لا يَميل ، إلا فيك أو عندك أو لك أو معك ، خالصةً لك ، ومقصورةً عليك ، لا تليق إلا بك ولا تحسن إلا فيك ؟

٣ — وقد أصبحتَ وما على ظهرها خَوْدٌ[٣] إلا وهى تَعْثُر باسمك[٤] ، ولا فَيْنَةٌ[٥] إلا وهى تُغَنّى بمدحك ، ولا فتاة إلا وهى تشكو تباريح[٦] حبك ، ولا محجوبة إلا وهى تَنْقُب الخروق لمَمَرّك[٧] ، ولا عجوز إلا وهى تدعو لك ، ولا غيور إلا وقد شَقِى بك .

٤ — ثم سأله أسئلة شتى ، يعجزه بها ، لأنه كان — كما ذكر الجاحظ — يدعى المعرفة بكل شىء ، وبعض الأسئلة لا يمكن الإجابة عليه . مثل قوله :

خبرنى عن بحار نيطس ، وعن الأصم ، وعن جبل الماس ، وعن الباكى وعن

---

(١) الشطر : النصف

(٢) لا تستحيل : لا تحول وتتغير

(٣) خود : شابة ناعمة (٤) المراد أنها تنطق به مزعمة من شدة حبها له

(٥) فينة : معينة (٦) تباريح : آلام (٧) ينقب الخروق لممرك : يحدث ثقوبا فى الباب أو الشباك لتراك وأنت تمر

قاف ، وأين كنت عام الجُحَاف[١] . وخبرنى عن عطارد الهندى وجوابه لعطارد السماوى حين هبط إليه من فَلَكه .

وخبرنى كيف كان أصل الماء فى ابتدائه فى أول ما أفْرِغَ فى إنائه ، أكان بحرا أجاجا[٢] استحال عذبا زُلالا ، أم كان زلالا عذبا استحال أجاجا ؟

وخبرنى ما السِّحْر ، وما الطِّلَّسْم[٣] ، وما الدنهش وما الحلقطير ؟

وخبرنى عن المرائى[٤] كيف صارت تُرِى الوجوه ، ويُبْصر فيها الخَلق ؟.

وخبرنى عن الظلام أجسمٌ موجود عند زوال الضوء ، أم تأويل قولنا ظلام إنما نريد به دفع الضوء ؟ وخبرنى منذ كم صُنِعَ حساب الهسمرح ، ومن صاحب خطوط الهند ، ومنذ كم عمل باب الجامع ، ومنذ كم عمل الأرتماطيقى ، ومن سمَّى الجبر بالجبر ، والجزر بالجزر ، والشاذر بالبارود ؟ ومن أول مَن عدَّ إلى عشرة ، وجعلها منتهى وغاية ، ثم ضاعفها ، ثم كسَّر على العشرة ؟ وخبرنى ما جرى بينك وبين هرمس فى طبيعة الفلك ، وعن سماعك من أفلاطون ومادار فى ذلك بينه وبين أرسطوطاليس[٥] »

* قال الصاحب بن عَبَّاد فى ابن ماسويه الفقيه :

قل لابن ماسَوَيْه الفقيه ... يا آنفَ الناس من أبيه
جمعتَ ضِدَّيْنِ فى مكان ... صَنْعَةَ حَلْج وفَرْطَ تيه[٦]

---

(١) الجحاف : سيل حدث أيام عاد بالقرب من مكة
(٢) أجاج : ملح مر (٣) الطلسم : الشىء المعمى كالاعر (٤) المرائى : جمع مرآة
(٥) رسالة التربيع والتدوير للجاحظ
(٦) محاضرات الأدباء ٢٨٦/٢ تيه : كبر

قال شاعر فى حاكم على أرض مقفرة :

يا أميرا على جَرِيب من الأر ض له تسعةٌ من الحجـــاب
قاعدا فى الخراب يَحْجُبُ عنه ما سمعنا بحاجب فى خراب[1]

أمثلة للتهكم بالغباء

دأب الناس على أن يضيقوا بالأغبياء ، لأنهم صور متخلفة عن المجتمع . لا يصلحون لمحاراته ولا للفهم عن غيرهم . وكثيرا ما يسببون لغيرهم مشكلات ويجرون عليهم مغارم . والذين يتهكمون بالأغبياء إنما يخففون عن أنفسهم من أثقال غبائهم ، ويحاولون فى الوقت نفسه أن يصلحوا من أمرهم ، وأن يحملوهم على شىء من الذكاء ، ليعيشوا فى المجتمع أعضاء ناقعين .

دخل رجل على الشَّعْبى ، وامرأته معه فى البيت . فقال : أيُّكما الشعبى ؟ قال الشعبى : هذه وأشار إلى امرأته[2] . فتهكم بالسائل . لأنه غبى .

فإذا كان السائل جادّا فى سؤاله فهو أغبى الأغبياء ، لأنه لم يعرف الزوج من الزوجة . وإن كان متهكما بسؤاله فقد لقى من تهكم الشعبى ما يخجله .

* دخل يزيد بن منصور الحميرى على بشار وهو واقف بين يدى المهدى ينشده شعرا . فلما فرغ من إنشاده أقبل عليه يزيد ، وقال : ما صناعتك ياشيخ ؟ فقال له أثقب اللؤلؤ . فضحك المهدى ، وقال لبشار : أعزُب ، ويلك أتتنادر على خالى ؟ قال بشار : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة مديحاً ، فيقول له : ما صناعتك[3] ؟

---

(١) عيون الأخبار ١/٨٧ جريب : مقدار من الأرض تسع بذر أربعه أقفزة.
(٢) عيون الأخبار ١/٣١٦
(٣) نكت الهميان ٦٨

* جاء رجل إلى بشار بين بَرْد ، فسأله عن منزل رجل ذكره له . فجعل بشار يصفه له ، ويفهمه ، فلا يفهم . فأخذ بشار بيده ، ومشى به يقوده ، إلى أن بلغ منزل الرجل ، وهو يقول :

أعمى يقود بصيرا ، لا أبالكمُ قد ضَلَّ من كانت العميانُ تَهْديه

فلما وصل به إلى منزل الرجل قال له : هذا منزله يا أعمى[١] .

* مرَّ بشار برجل نَدَّتْ من تحته بغلته وهو يقول : الحمد لله شكرا . فقال له بشار : استزده يَزِدْك[٢] .

* لما ضُرب بشار فى هجائه للخليفة المهدى كان إذا أصابه السوط قال : حَسْ (كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع) فقال بعضهم : انظروا إلى زندقته كيف يقول (حَسْ) ولا يقول باسم الله . فقال بشار : ويلك ، أطعام هو ، فأسمى الله عليه ؟ فقال آخر : أفلا قلتَ : الحمد لله ؟ فقال بشار : أوَ نعمةٌ هى فأحمَدَ الله عليها[٣] ؟

* قال أبو الفتح بن كُشاجم فى طبيب اسمه عيسى :

عيسى الطبيبُ تَرَفَّقْ فأنت طوفان نُوح
يَأْبَى علاجُك إلا فراق جسم لروح
شَتَّانَ ما بين عيسى وبين عيسى المسيح
فذاك مُحْيِي مواتٍ وذا مُمِيتُ الصحيح[٤]

---

(١) نكت الهميان ١٢٩
(٢) نكت الهميان ١٢٧ (٣) نكت الهميان ١٢٦
(٤) يتيمة الدهر ١/٢٤٨

من التهكم بخلف الوعد

* كان بالجزيرة رجل يبيع نبيذا ، وكان بيته من قصب . وكان يأتيه قوم يشربون عنده ، فإذا عمل فيهم الشراب قال بعضهم لبعض : أما ترون بيت هذا النَّبَّاذ من قصب ؟ ويقول بعضهم : علىَّ الآجُرُّ ، ويقول آخر : علىَّ الجصُّ ، ويقول الثالث : على أجرة العامل . فإذا أصبحوا لم يعملوا شيئاً .

فلما طال ذلك على النَّبَّاذ قال :

لنا بيتٌ يُهدَّمُ كل يوم ... ويصبح حين يصبح جِذْمَ حصِّ[1]

إذا مادارت الأقداح قالوا ... غداً نَبْنِي بآجرّ وجِصِّ

وكيف يُشَيِّدُ البنيانَ قومٌ ... يمرون الشتاء بغبر مُقْمِص[2] ؟

ومن التهكم بالرياء

* عزل أبو عمر عبد الواحد عن قضاء البصرة ، وولى أبو الحسن بن أبى الشوارب سنة ٣٩٩ هـ . فقال العُصْفُرِى الشاعر :

عندى حديث ظريف ... بمثله يُتَغَنَّى

من قاضيين يُعَزَّى ... هذا وهذا يُهَنَّا

فذا يقول اكْرَهُونا ... وذا يقول : استرحنا

ويكذبان جميعا ... ومن يصدق منا[3]

---

(١) جذم : أصل (٢) العقد الفريد ٣/٣٣٣

(٣) النجوم الزاهرة ٤ / ٢٢٠ اكرهونا : أكرهونا على القضاء

تهكم الشخص بنفسه

يغلب فى ألوان الفكاهة أن تكون من شخص إلى آخر ، أو متبادلة بين شخصين أو عدة أشخاص .

ولكن هذا لون آخر ، قائم على أن يتندر الشخص بنفسه .

فهو إذا موضوع الفكاهة ، وهو المصوِّر لها . هو مصدرها ، وهو مَظْهَرُها .

ولعله فى تندره بنفسه أبعث على الإضحاك من تندر غيره به ، لأنه صار مبعثاً مضاعفا للضحك ، حتى لكأنه الضحك نفسه .

وبديهى أن الشخص الذى يتندر بنفسه ، شخص فكه لبق خفيف الروح سريع الخاطر ، وهو إلى ذلك بعيد النظر ، يتفكه بنفسه ، قبل أن يتفكه الناس به .

وكثيرا ما يكون تهكمه بنفسه — على إضحاكه — وقاية له من تهكم الناس عليه ، وانصرافهم عن الضحك من عمله أو حالته إلى الضحك من فكاهته .

ولقد يكون تهكمه بنفسه تنفيساً عن غيظ مكتوم ، أو صدًى لاستهزائه بالأحداث التى مرت به ، فهو ضرب من التعالى على كوارث الدهر ومفارقاته . والأساس الذى تقوم عليه هذه الفكاهة الشخصية أن يصور المتحدث نفسه فى موقف إحراج أو ضعف أو حيرة أو طمع أو غفلة أو ما يشبهها مما لا يرضاه الشخص لنفسه ، على ألا تبلغ حدا يجعله موضعا للرحمة والإشفاق ، لأن الرحمة والإشفاق كما قلنا فى التمهيد يناقضان الضحك .

وإذا كان فى بعض الأمثلة التى سنوردها ما يوحى بالإشفاق والرثاء عند النظرة الأولى ، فإن النظرة الفاحصة تنبيء عن تهويل من المتكلم ومبالغة ، وإثارة للضحك لا للرحمة .

١ — قد يتهكم الشخص بنفسه ، لأنه يعرف من محوى السؤال الموجه إليه أن الغرض التهكم به ، فيجيب إجابة منطوية على الفكاهة بنفسه ، وكأنما يقول : بيدى لا بيد عمرو .

من ذلك أنه قيل لمزبِّد المدينى . ما بال حمارك يبلد إذا توجه إلى منزلك ، وحمير الناس إلى منازلها تسرع ؟ فقال : لأنه يعرف سوء المُنْقَلَب[1] .

وكتب الصَّنَوْبَرى إلى صديق له شرب دواء مسهلا :

بَبِّنى كيف تَخَطِّيك إلى دار الكرامه
كم جدارٍ هُدَّ من رَعْدٍ وكم سَحَّتْ غمامه

فلم يجبه . فكتب إليه ثانيا :

أَبِنْ لى كيف أصْبَحْتَ وما كان من الحال ؟
وكم سارت بك النا قة نَحْوَ المنزل الخالى ؟

فأجابه الصديق بقوله :

كتبتُ إليك والفعلان ما إنْ أُغِبُّهما من السَّيْرِ العَنِيفِ
فإن رُمْتَ الكتاب إلىَّ فاكتُبْ
على العنوان : يُوصَلُ فى الكَنِيفِ[2]

---

(١) نهاية الأرب ٤/٢٤
(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦٩ أغبهما : آركهما

فهنا يُعَرِّض الصنوبرى بصديقه مرتين ، وصديقه يعلم غرضه ، فيكشف عن حقيقة حاله ، وفى الوقت نفسه يتندر بصديقه ، لأنه يطلب منه أن يرسل إليه على عنوان خاص .

٢ — وقد يتهكم الشخص بنفسه ، لا رداً على سؤال أو تندر ، بل رغبة فى الفكاهة والتفكيه . من ذلك أن الجاحظ كان مولعاً بالضحك والإضحاك ، حتى من نفسه .

حدَّث فى وصف اشتباك بينه وبين الذباب فقال : فأما الذى أصابنى من الذِّبَّان فإنى خرجت أمشى فى (المُبارك) أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدر على دابة ، فمررت فى عُشْب أشِبٍ[1] ونبات ملتف ، كثير الذّبان . فسقط ذباب من تلك الذبان على أنفى فطردته ، فلم أقدر . فتحول إلى عينى فطردته . فعاد إلى مؤق[2] عينى ، فزدت فى تحريك يدى ، فتَنَحىَّ عنى بقدر شدة حركتى ، وذَبِّى عن عينى . ولذبان الكلأ والغياض والرياض وَقْعٌ ليس لغيرها . ثم عاد إلىَّ فعدت إليه . ثم عاد إلىَّ ، فعدت بأشد من ذلك . فلما عاد استعملت كمى ، فذَبَيْتُ به عن وجهى ، ثم عاد . وأنا فى ذلك أخبُّ السير أؤمِّل بسرعتى انقطاعه عنى .

فلما عاد نَزَعْتُ طيلسانى[3] من عنقى ، فذَبَبْتُ به عنى بدل كمى . فلما عاود ، ولم أجد له حيلة ، استعملت العَدْوَ ، فَعَدَوتُ منه شَوْطًا تاما ، لم أتكلف مثله مذ كنت صبيا .

فتلقانى الأندلسي ، فقال لى : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟ قلت : نعم ، أكبر الحوادث ، أريد أن أخرج من موضع للذبان ، علىَّ فيه سلطان . فضحك حتى جلس .

---

(١) أشب : ملتف (٢) مؤق العين : طرفها مما يلى الأنف (٣) لباس يشبه العباءة

وانقطع الذبان عنى ، وما صَدَّقْتُ بانقطاعه ، حتى تباعد جداً[1] »

الجاحظ هنا يصور نفسه حيران ، يذب عن نفسه الذباب مرات ، ويتخذ وسائل شتى ، فلا ينقطع الذباب عنه . ثم يضطر إلى دفعه بكمه ، ويسرع فى مشيه ، ولكن الذباب يلاحقه . فيضطر إلى نزع طيلسانه ، والدفاع به ، وهذا منظر مضحك ، لكن الذباب يطارده ويغلبه . فلم يجد إلا أن يجرى جريا لم يتكلف مثله منذ صباه ، وجريه هكذا فى الفضاء ، وبغير حاجة يفهمها من يراه ، مضحك . ثم يلقاه صديق له ، فيسأله عما به ، فيقول الجاحظ له : أكبر الحوادث ، أريد أن أحرج من مكان غلبنى فيه الذباب . وكان قد بعد الذباب عنه ، فلم يصدق أنه انقطع إلا بعد أن استوثق من بعده عنه .

٣ — وقد يتهكم الشخص بنفسه ليحصل على خير يريده ، ففكاهته هنا حيلة يراها أقرب إلى النجح من الجدّ .

من ذلك أن أبا دُلامة ولدت له بنت ليلا . فأوقد السراج ، وجعل يَخيط خريطة من شُقَق مستطيلة فلما أصبح غدا بخريطة إلى الخليفة المهدى ، فاستأذن عليه ، وكان لا يُحْجَب ، فأنشده بيتين فى المدح .

فقال له المهدى : أحسنتَ ، فما الذى عَدَا بك إلينا ؟ قال : ولدت لى جارية يا أمير المؤمنين . قال المهدى : فهلاّ قلتَ فيها شعرا ؟ قال : نعم ، فلت :

ما وَلَدَتْك مَرْيَمُ أمُّ عيسى ... ولم يَكفُلْك لقمان الحكيمُ

ولكن قد تَضُمُّكَ أمُّ سَوْء ... إلى لَبَّاتِها ، وأب لئيم

فضحك المهدى ، وقال له : فما تريد أن أعينك به فى تربيتها ؟ قال : تملأ

(١) الحيوان ٣/٣٤٦

هذه الخريطة ، ونشرها بين إصبعيه . فملأها له ، فوسعت أربعة آلاف درهم[١] .

٣ — ولقد يتهكم بنفسه ، ليتخلص من مأزق ، أو لينجو من الملامة أو العقوبة .

دخل أبو دلامة على المهدى ، وعنده جماعة من الأشراف ومن بنى هاشم والوزير محمد بن الجهم . فقال المهدى لأبى دلامة : والله لا تبرح مكانك حتى تهجو واحدا ممن هنا ، وإلا قطعت لسانك أو ضربت عنقك .

فنظر إليه القوم ، وكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن علىّ رضاك .

قال أبو دلامة : علمت أنى قد وقعتُ ، ولم أر أحدا أحق بالهجاء منى ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسى ، فقلت :

ألا أبلغْ لديكَ أبا دلامه ... فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان فردا ... وخنزيرا إذا نزع العمامه

وإن لبس العمامة كان فيها ... كثورٍ لا تفارقه الكمامه

جمعتَ دمامة وجمعتَ لؤما ... كذاك اللؤم تتبعُه الدمامه

فإن تك قد أصبتَ نعيم دنيا ... فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ، ولم يبق أحد منهم إلا أجازه[٢] .

٤ — وقد اتخذ بعض الأدباء البائسين ، أو الذين كانوا يطمحون إلى الجاه والثراء فأصابهم الحرمان ، اتخذوا التهكم بأنفسهم وسيلة للشكوى ، ووسيلة للتنفيس والسخرية بأنفسهم أو بأحداث الدهر .

---

(١) العقد الفريد ٣٠٢/١

(٢) العقد الفريد ٣٣١/٣ ونهاية الأرب ٤٣/٤

من ذلك قول عمرو بن المنذر فى وصف حاله :

عجبتُ لأفـــدار علىَّ نتابعت
بنَحسٍ فأفنى طول دهرى التّعجّبُ

ولمـــا التمست الرزق فانحلّ حَبْلُه
ولم يَصْفُ لى من بحْره العذب مشْرب

خطبت إلى الإعـــدام إحدى بناته
لدفع الغِنَى إياى إذ جئت أخْطُب

فزَوّجنيهـــا ثم جاء جَهـــازها
وفيه من الحرمان تَخْتٌ ومِشْجَبُ(١)

فلو تِهْتُ فى البيداء والليـل مُسْبل
علىَّ دياجيه لمـــا لاح كوكب

ولو خِفْتُ شرّاً فاستترتُ بظُلْمة
لأقبل ضوء الشمس من حيث تَغْرب

ولو جاد انسـان علىَّ بدرهم لرحت إلى رَحْلى وفى الكف عقرب
ولو يُمْطر الناسُ الدنانير لم يكن بشىء سوى الحصْباء رأسى يُحصب
ولو لمستْ كفاى عقْدا مُنظما من الدُّرّ أضحى وهو ودع مُثقب
وإن يقترف ذنبا ببرقة مُذنب فإن برأسى ذلك الذنب يُعصبُ
وإن أر خيرا فى المقام فنازح وإن أر شراً فهو منى مُقرّب
ولم أغدُ فى أمر أريد نجاحه فقابلنى إلا غراب وأرنب(٢)

(١) تخت : وعاء توضع فيه الثياب . مشجب : ماتعلق عليه الثياب
(٢) العقد الفريد ٣/٢٤٤ الغراب والأرنب مما يتشاءم به

أشعب أخرى

* قال أشعب : مررت بامرأة تصنع طبقا ، فقلت لها : بالله عليك زيدى فيه ووسّعيه . قالت : لماذا ؟ قلت : لعله أن يُهْدَى إلىّ فيه شيء ، ولأن يكون كبيراً يسع كثيراً خيرٌ من أن يكون صغيراً[١] .

فأى تصوير أوضح من هذا وأدل على شدة الطمع ؟ إنه فى هذا المثال يَشْرَه حتى فى التوهمّ ، فيطلب أن تصنع المرأة الطبق كبيراً ، وهو لايدرى لمن تصنعه ، ولا لمن ستبيعه ، ولا يعرف ماذا يستعمل له ، لكن شرهه يوهمه أنه ربما يُهْدَى إليه شيء فيه ، وستكون الهدية على قدر السعة . وكأنما يخيل إليه جشعه أن الواجب على الناس ألا يقتنوا فى بيوتهم إلا الأطباق الكبار ، والواجب على الصناع ألا يصنعوا إلا الجفنات ، فلعل أحداً أن يهدى إليه فى أحدها شيئاً .

* قيل لأشعب : أرأيتَ أحدا قطّ أطمعَ منك ؟

قال : نعم ، كلباً تبعنى أربعة أميال على مَضْغ العَلَك[٢] .

* وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال ما رُفّت عروس فى المدينة إلى زوجها إلا كنست بيتى وفتحت بابى ، لعلها أن تُهْدَى إلى[٣] .

* قال أشعب : رأيت رؤيا نِصْفُها حقّ ونصفها باطل . قالوا : كيف ذلك ؟ قال : رأيتنى أحمل بَدْرة[٤] فمن شدة ثقلها علىّ كنت أَسْلَحُ فى ثيابى . ثم صحوت ، فإذا أنا أَسْلَحُ ولا بَدْرةَ[٥] .

---

(١) الأغانى ١٧/٩٠ وفوات الوفيات ١/٢٢

(٢) الأغانى ١٧/٩٤ وفوات الوفيات ١/٢٢

(٣) الأغانى ١٧ / ١٠٣ وفوات الوفيات ١ / ٢٢

(٤) بدرة : كيس به دراهم من ألف إلى عشرة أو به سبعة آلاف دينار

(٥) العقد الفريد ٣/٣٢٩

* قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل ، حتى بلغنا هذه المنزلة[١] .

* قال الوليد بن يزيد لبديح : خذ بنا فى الأمانى ، فإنى أغلبك فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أغلبك ؛ لأنى فقير ، وأنت خليفة ، وإنما يتمنى المرء ما عسى أن يبلغ إليه ، وأنت قد بلغت الآمال .

قال الوليد : لا تتمنى شيئاً إلا تمنيت ما هو أكثر منه . قال بديح : أتمنى كِفْلَيْنِ[٢] من العذاب ، وأن يلعننى الله لعناً كبيراً . قال الوليد : اعزُبْ ، لعنك الله دون خَلْقه[٣] .

* أكل شعبة مع زياد ، وكان يأكل أكلا ذريعاً وزياد يتأمله ، فقال له كم لك من الولد ؟ قال : تسع بنات ، أنا أجمل منهن ، وهن آكَلُ منى . فقال زياد : ما أحسن ما استعطيتَ لهن . وآثنتهن فى أصحاب العطاء[٤] .

* سكر أبو دلامة ، فأتى به إلى المهدى ، فأمر بأن يحبس فى بيت الدجاج . فلما مضى جزء من الليل صحا أبو دلامة من سكره ، ورأى نفسه بين الدجاج ، فصاح : ياصاحب البيت . فاستجاب له السجان قائلا : ما لك ياعدو الله ؟ قال له : ويلك ، من أدخلنى مع الدجاج ؟ قال : أعمالك الخبيثة . أُتى بك إلى أمير المؤمنين وأنت سكران . فأمر بتمزيق طيلسانك الذى كان قد أهداه إليك ، وبحبسك مع الدجاج . قال أبو دلامة : ويلك ، أو تقدر على أن توقد سراجا ، وتجيئنى بدواة وورق ؟ فأتاه بدواة وورق . فكتب إلى المهدى أبياتاً منها :

---

(١) الأغانى ١٧ / ٨٢ ونهاية الأرب ٤ / ٢٥

(٢) كفلين : ضعفين (٣) محاضرات الأدباء (٤) محاضرات الأدباء ١ / ٣٤٠

أمـــير المؤمنين فَـــدَتْك نفسى
عـلام حَبَسْتنى وخـرَقْتَ ساجى[1]

أفادُ إلى السجون بغـير ذنب كأنى بعضُ عمـــال الخراج
ولو معهم حُبِسْتُ لهان وَجْدى ولـكنى حُبِسْتُ مع الدجاج

ثم قال : أوصلها إلى أمير المؤمنين . فأوصلها إليه السجان . فلما قرأها المهدى أمر بإطلاقه وإحضاره . وقال له : أين بت الليلة يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج يا أمـير المؤمنين . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أفاق معهن حتى أصبحت .

فضحك المهدى ، وأمر له بصلة جزيلة ، وخلع عليه كسوة شريفة[2] .

* دخل ابن بجيلة اليمن ، فلم ير بها أحدا حسنا ، ورأى نفسه — وكان قبيحاً — أحسن مَنْ بها . فقال :

لم أر عـــيرى حسناً منـــذ دخلتُ اليَمَنا
ففى حرام بـــلدة أحسن من فيها أنا[3]

حَدَّث الجاحظ قال : سيتُ كنيتى ثلاثة أيام ، حتى أتيت أهلى ، فقلت لهم : بم أكْنَى ؟ فقالوا : بأبى عثمان[4] .

* قال محمد بن عبد الله التعاويذى فى جبته :

جُبَّةٌ طال عمرها فقـد تَصـ لُـحُ أن يُسْمَعَ الحديث عليها
كلـما قلتُ فرَّج الله منهـــا أحوَجتْ خِسَّةُ الزمان إليها[5]

(١) الساج : الطيلسان الأخضر أو الأسود (٢) العقد الفريد ٣٠٢/١
(٣) العقد الفريد ٢٣٣/٣ (٤) معجم الأدباء ٧٥/١٦ (٥) بدائع البدائه ٢٦٢

* قال ابن الرومى فى تهكمه بنفسه :

من كان يبكى الشباب من جَزَعٍ ... فلستُ أبكى عليه من جَزَعِ
فإن وجهى — بقبح صورته — ... ما زال بى كالمشيب والصَّلَع
أشَب ما كنتُ قطُّ أهرم ما ... كنت فسبحان خالق البِدَع
إذا أخذت المرآة سلفَنى ... وجهى — ومامُتُّ — هَوْل مُطَّلعى
شُغِفتُ بالحرِّد الحسانِ وما ... يَصْلُح وجهى إلا لِذِى وَرَع
كى يَعْبُدَ اللهَ فى الفلاة ولا ... يَشْهَدَ فيه مساجدَ الجُمَع[1]

* قال أبو الشمقمق فى وصف حاله :

برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجابى
فنزلى الفضاءُ وسقف بيتى ... سماءُ الله أو قطعُ السحاب
فأنت إذا أردتَ دخلتَ بيتى ... علىَّ مسلِّما من غير باب
لأنى لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب إلى التراب
ولا حفت الأباقَ[2] على عبيدى ... ولا خِفتُ الهلاك على دوابى
ولا حاسبتُ يوماً قهرمانى[3] ... محاسبةَ فأغلظَ فى الحساب
وفى دا راحة وفراغُ بالٍ ... فدأبُ الدهر دا أبدا ودابى[4]

(٥) قال نجم الدين بن مجاور :

صديقى قال لى لما رآنى ... وقد صليت زهواً ثم صمت

---

(١) ديوان ابن الرومى (٢) الأباق : الهرب (٣) القهرمان : القيم بشئون النفقه
(٤) العقد الفريد ٣/٢٤٤

على يد أى شيخ تبت ، قل لى فقلت : على يد الإفلاس تبت[1]

* قال عمر بن محمد بن سراج الدين الورّاق ، وكان أشقر أزرق :

ومن رآنى والحمارُ مركبى وزرقتى للروم عِرْقٌ قد ضَرَبْ

قال : — وقد أبصر وجهى تعبلا — لا فارسُ الخيل ولا وجهُ العرب[2]

* قال عمارة اليمنى للملك الصالح ، وكان عمارة قد شرع فى ترميم دار سعد الافتخارى ليسكنها :

يا سيدا أوصافه دَرجُ المديح إلى الفخارِ

اسمع — فَدَيْتُك — قصتى مُتَفَصِّلا وأَقِلْ عِثارى

هى قصة نَتَفَتْ سِبا ل الشَّعر بل سَلَبَتْ شعارى

لا أستجيز حديثها إلا بحكم الاضطرار

أوقعتُ نفسى جاهلا فى دار سعدِ الإفتخارى

وغَلَطْتُ فيها غلطةً أزرَتْ بقَدْرى واقتدارى

* * *

وإذا العمارة لاتَلِيـ قُ بغير أرباب اليسار

وكفاك شراً أننى بِعْتُ الموَطَّأ والبخارى

لم أدر أنى عندها كبُخَّر فى ألف ( )

دارٌ هممت بتركها ولو انها دار القرار

وعلى نَداك معونتى فيها فقد وَفَتْ حمارى[3]

---

(٢) العصون اليانعة ٢٥ (٣) فوات الوفيات ٢ / ١٠٨

(١) السكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ١٠٧

* قال الشاعر المصرى كمال الدين على بن المبارك الشهير بابن الأعمى فى التهكم بدار كان يسكنها قصيدة طويلة ، منها :

دار سكنتُ بها أولُّ صفاتها ... أن تكثُرَ الحشراتُ فى جنباتها

الخير عنها نازح متباعد ... والشرُّ دانٍ من جميع جهاتها

مِنْ بَعْض ما فيها البَعوضُ — عَدِمْتُه —

كم أعدمَ الأجفانَ طِيبَ سِناتِها[1]

وتبيت تُسْعدها براغيثٌ متى ... غَنَّتْ لها رقصَت على نغماتها

رقص بتنقيطٍ ولكنْ قافُه ... قد قُدِّمَتْ فيه على أخواتها[2]

وبها ذباب كالضباب يسدُّ عين الشمس ، ما طربى سِوى غَمَّاتها

وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ، ليست على عاداتها

وبها من الجرذان مابد قَصَّرت ... عنه العتاق الجُرْدُ فى حملاتها[3]

وبها خفافسُ كالطنافس أفرِشَتْ ... فى أرضها وعَلَتْ على جنباتها

والبومُ عاكفة على أرجائها ... والدود يبحث فى ثَرَى عَرَصاتها

والجِنُّ تأتيها إذا جَنَّ الدُّجى ... تحكى الخيولَ الجُرْدَ فى حملاتها[4]

أبدا يقول الداخلون ببابها ... يارَبِّ نجِّ الناسَ من آفاتها

قالوا إذا نَدَبَ الغرابُ منازلا ... يتفرق السكان من ساحاتها

وبدارنا ألفا غراب ناعقٍ ... كذبَ الرواة فأينَ صِدْقُ رُواتها[5]

---

(١) سناتها : نوماتها القصار وغفلاتها (٢) أى أنه قرص لارقص .
(٣) الجرذان : الفئران . العتاق الجرد : الخيل القوية (٤) جن الدجى : أظلم الليل.
(٥) المستطرف ٢ / ٤

التهكم الخفيف

ومن التهكم نوع أخف من ذلك ، لأنه دعابة من الشخص يجريها على نفسه. وهو ذو معارض شتى ، فقد يصف حادثا من حوادثه وصفا فكها مضحكا ، كقول الجاحظ :

صحبني محفوظ القماش من مسجد الجامع ليلا . فلما صرت قرب منزله ، وكان أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي ، سألني أن أبيت عنده ، وقال : أين تذهب في هذا المطر؟ والبرد ومنزل منزلك ، وأنت في ظلمة ، وليس معك مصباح ، وعندي لبأ[1] لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة .

فلتُ معه . فأبطأ ساعة ، ثم جاءني بجام لبأ ، وطبق تمر . فلما مددت يدي قال : يا أباعثمان ، إنه لِبأ وغلَطُه ، وهو الليل وركوده ، وهي ليلة مطر وطوبة ، وأنت رجل قد طعنت في السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طرَفا ، ومازال الغليل يسرع إليك . وإنت في الأصل لستَ بصاحب عشاء ، فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ كنتَ لا آكلا ولا تاركا ، وحرَّشتَ طباعك ، ثم قطعتَ الأكل أشهى ما كان إليك ، وأن بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ، ولم نعدَّ لك نبيذا ولا عسلا[2] . وإنما قلتُ هذا الكلام لئلا تقول غدا : كان وكان . والله لقد وقعت بين نابيْ أسد ، لأني لو لم أجئك به وقد ذكرته لك قلتَ : بخل به . وإن جئتُ به ولم أحذرك منه ، ولم أذكِّرك كل ما عليك فيه ، قلتَ : لم يشفق عليَّ ولم ينصح .

---

(١) لبأ : أول اللبن عند الولادة (٢) أي شغلنا حالك عن أن نعد لك وسائل الهضم من نبيذ وعسل .

فقد بَرِئت إليك من الأمرين جميعا ، فإن شئت فأكلةٌ ومَوْتَة ، وإن شئتَ فبعضُ الاحتمال ، ونوم على سلامة .

قال الجاحظ : فما ضحكتُ قط كضحكى تلك الليلة . ولقد أكلته جميعا ، فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن . ولو كان معى من يفهم طِيبَ ما تكلم به لأتى علىّ الضحك ، ولقضى علىّ ، ولكن ضحك من كان وحده لايكون على شطر مشاركة الأصحاب[1] » .

* ومن التفكيه بما حدث للمتكلم نفسه ما تخيله بديع الزمان الهمذانى على لسان أبى الفتح الإسكندرى بطل مقاماته ، قال :

حدَّث عيسى بن هشام أنه كان بالبصرة ، ومعه أبو الفتح الإسكندرى ، ودعاهما تاجر إلى وليمة ، فيها مَضيرة[2] ، تُثنِى على الحضارة ، وتشهد لصانعها بالمهارة .

لكن أبا الفتح لعن المضيرة ومَقتها ، فظنوه يمزح ، فإذا هو يَجِدُّ ، وترك الخِوَانَ فلم يأكل . فرفعوها وعيونهُم تَتْبعُها ، وأفواههم تتحلَّبُ لها وسألوه عن أمرها ، فقص عليهم قصة طويلة .

موجز هذه القصة قوله : دعانى تاجر ببغداد إلى مضيرة ، فلبَّيتُه . وبينا نحن نمشى فى الطريق جعل التاجر يثنى على زوجته ، ويصف حِذْقها فى صناعة المضيرة ، ويُعْجَبُ بها وهى تتنقل بين القِدْر والتنور[3] ، ويصف الدخان وقد غَبَّر وجهها الجميل ، وخدها الصقيل ، ثم يحدثنى عن حبه لها وحبها له ، وقرابتها منه ، إلى أن صَدَّعنى بأوصاف زوجته .

---

(١) البخلاء ٢/٤٦

(٢) طعام من لحم ولبن حامض وتوابل (٣) الفرن

فلما انتهينا إلى الحى الذى يقيم فيه جعل يحدثنى عن عظمة الحى ، وغنى سكانه .

ثم حدثنى عن نفقات داره وصنعتها وشكلها وأبوابها وغلاء أخشابها والنجار الذى صنعها ، إلى أن أضجرنى .

ثم أخذ يكلمنى عن طُرَف الدار ، وسلمها ، وكيف اشترى دارا مجاورة لها فضمها إليها ، وعن أثاثها وكيف اشتراه إلى أن أملَّنى .

فلما حان وقت الظهيرة نادى غلامه وقال : هات الطَّسْتَ والماء . ففرحت وقلت فى نفسى : الله أكبر ، ربما قَرُب الفَرَج . وجاء الغلام يحمل الطست ، فاستوقفه الرجل ، ليخبرنى عن أصله ، وليصفه لى . ثم قال له : اذهب ، فهات الإبريق . وحينئذ أخذ الطست ، وجعل يُقَلِّبُه ، ويَنْقره ، ويحدثنى عنه ، وعن صنعته وجودته ومن أين اشتراه .

ثم نادى غلامه ليحضر الإبريق ، فلما جاء به أخذه فقَلَّبه ، وحدثنى عن جَوْدته . ثم أمره أن يحضر الماء ، فلما حضر به كلمنى عن نظافة الماء وصفاته ، وعن المنديل وقصته إلى أن أسأمنى .

ثم قال لغلامه : احضر الخِوان ، فقد طال الزمان ، وهات الطعام ، فقد كثر الكلام . فجاء الغلام بالخوان ، فأخذ الرجل يقلبه ، وينقره بنانه ويَعْجُمه[1] بأسنانه ، ويصف نفاسته ومهارة صانعه .

فاشتد ضجرى ، فقلت : هذا هو الشكل فمتى الأكل ؟ فقال لغلامه : عَجِّل الطعام . ولكنه استمر يتحدث عن الخوان وصنعته .

---

(١) يعجمه : يجسه ويضغط عليه بأسنانه

وهنا انفجرتُ ، فقلت فى نفسى : قد بقى الخبز وآلاته وصفاته ، والحنطة[١] من أين اشتُرِيَتْ ، وكيف احتملَتْ ، وفى أى رحى طحنها ، وفى أى وعاء عجنها ، وأىَّ تنُّور سَجَرَ[٢] ، وخباز استأجر ، وبقى الحطب من أين احتُطِبَ ومتى جُلب ، وكيف صُفف حتى جفَّف وبقى الخباز ووصفه ، والدقيق ومدحه ، والخمير وشرحه ، والملح وملاّحته ، والخلُّ كيف انتُقِى عِنَبُهُ ، أو اشترى رُطَبُه ، وكيف طُلِيَتْ معْصَرته ، واستُخلص لُبه ، وكم يساوى دنه . وبقى البقل كيف قُطف ، وكيف نظف . وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ، ووفِّى شحمها ، ونصبت قدرها ، وأشعلت نارها ، ودقت أبزارها[٣] حتى أجيدَ طبخها ، وعقد مَرَقُها .

وهذا خطب يعظم ، وأمر لا يحتمل . فقمت ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : حاجة أقضيها . فقال : تريد مرحاضا يزرى بقصر الأمير والوزير ، وجعل يصفه لى إلى أن قال : يتمنى الضيف أن يأكل فيه . فقلت له : كل أنت من هذا الجراب ، لم يكن المرحاض فى الحساب . وخرجت نحو الباب ، وأسرعتُ فى الذهاب ، وجعلت أجرى ، وهو يَتبَعُنى ، ويصيح : المضيرة ياأبا الفتح ، المضيرة .

فظن الصبيان أن المضيرة لَقَبٌ لى ، فصاحوا ، فرميت أحدهم بحجر ، من شدة الضَّجر ، فوقع الحجر على عمامة رجل ، فأخذتُ من النِّعال بما قدُم وحدُث ، ومن الصفع بما طاب وخبُث ، وحبست عامين . ولقد نذرت منذ ذلك ألا آكل مضيرة ماعشت[٤] .

---

(١) القمح (٢) سجر : أشعل
(٣) توابلها (٤) المقامة المصرية . من مقامات بديع الزمان الهمذانى

* ومثل المقامة المضيرية مقامة أخرى ، تخيل فيها بديع الزمان ما حدث لعيسى بن هشام فى الحمام ... منها :

« حدثنى عيسى بن هشام فقال : قَفَلْتُ من الحج ، ونزلت حُلوَان (١) ، فقلت لغلامى : طال شعرى ، واتّسخ بدنى ، فاختر لى حمّاماً وحجّاما (٢) ولكن الحجّام خفيف اليد ، حديد الموسى ، نظيف الثياب ، قليل الفضول . فخرج ، ثم عاد ، وقال قد اخترت ما أردتَ . فذهبتُ إلى الحمام ، ودخلته ، ودخل على أَمْرَى رجل ، وعَمَدَ إلى فطعة طين ، فلَطّخ بها جبينى ، ووضعها على رأسى . ثم خرج ، ودخل آخر ، فجعل يَدْلِكُنِى دلْكاً يَكُدُّ العظام ، ويغمزنى غمزا يَهُدُّ الأوصال (٣) ، ويُصفِّر صفيراً يَرُشّ البُزَاق . ثم عمد إلى رأسى يغسله ، وإلى الماء يُرسِّله .

وما لبث أن دخل الأول ، فضرب الثانى ضربة اصطكّتْ منها أنيابه (٤) ، وقال له : يا لُكَعُ ، مالك ولهذا الرأس ، وهو لى ؟

ثم عطف الثانى على الأول فضربه ضربة هَدَّتْ قُوّته ، وقال له : بل هذا الرأس حقى وملكى وفى يدى .

وتلاكما حتى تَعبا ، ثم احتكما إلى صاحب الحمام ، فقال الأول : أنا صاحب هذا الرأس ، لأنى لطّخْتُ جبينه ، ووضعت عليه طينه . وقال الثانى : بل أنا مالكه ؛ لأنى دلكت حامله ، وغمزت مفاصله . فقال الحمامى : ائتونى بصاحب الرّأس أسأله ، ألك هذا الرأس أم له ؟ فأتيانى ، وقالا لى : عندك شهادة . فأتيت إلى الحمامى ، فقال لى : يارجل ، لا تقل غير الصدق ، وقل : هذا الرأس لأيهما ؟

---

(١) بلدبفارس (٢) الحجام : المراد به هنا الحلاق (٣) المفاصل (٤) خبط بعضها بعضا

فقلت : عافاك الله ، هذا رأس قد صحبنى فى الطريق ، وطاف معى بالبيت العتيق، وما شككت أنه لى .فقال لى: اسكت يا فضولىّ . ثم مال إلى أحد الخصمين فقال: يا هذا ، هَبْ أننا لم نر هذا التّيْس ، فدعْه إلى لعنة الله وناره .

قال عيسى بن هشام : فقمت من ذلك المكان خَجِلاً ، ولبستُ ثيابى وَجِلاً[1] ،وانسللْت من الحمام عَجِلا[2] » .

* ومن ذلك حديث أبى الحسن يحيى الجزار المصرى المتوفى سنة ٧٦٩هـ ١٣٦٧م عن غرامة بالكنافة والقطائف :

سقى الله أكناف الكنافة بالقَطْر ... وجاد عليها سكّرا دائم الدَّرّ
وتَبّاً لأوقات المخَلَّل إنها ... تمرُّ بلا نفع وتُحْسَبُ من عمرى
أهيمُ غراما كلما ذُكر الحِمَى ... وليس الحِمَى إلا الكنافةُ فى القِطْر
وأشتاق إن هَبَّت نسيم قطائف السـ ... ـحور سُحَيْرا وهى عاطرة النَّشْر
ولى زوجةٌ إن تشتهى قاهرية ... أقول لها ما القاهرية فى مصر

* وكذلك حديث أبى الحكم الباهلى عن جبنه وخوفه :

أرى الحرب تكسبنى نَجْدَةً ... إذا خامر القلبَ تذكارها
فإن أنا فى النوم أبصرتُها ... تَبِينُ فى الفرش آثارها[3]

* وقول ابن مكنة فى وصف نفسه :

أنا الذى حدّثكم عنه أبو ... الشَّمَقْمَقِ
وقال عنى : إننى كنت نديم المتّقى

---

(١) وجلا : خائفا (٢) من المقامة الحلوانية . من مقامات بديع الزمان الهمذانى
(٣) عيون الأنباء ٢/١٥٤

حتى متى أبقى كذا تيساً طويلَ العُنُق
بلحيةٍ مُسْبَلَةٍ وشاربٍ مُحْلَق
ياليتها قد حُلِقَتْ من وجه شيخ خَنَق[1]

* وكذلك وصف ابن قلاقس لفجيعته فى أثوابه المسروقة :

إن كنتَ يوما مُغيثى عند نازلة فاليوم إنى بين الظُّفْر والناب
مازلت أملك أثواب الملوك إلى أن مَلَكَتْ سوقةُ الأقوام أسلابى
قالوا: الثواب عن الأثواب قلت لهم خذوا ثوابى وردُّونى لأثوابى
وقد دعوتك والأسماع مصغيةٌ إلى استماع جواب منك جوّاب
فَجُدْ بها عمامةً كالتاج باهيةً ودع سواك لإحرام وجلباب
وهذه قسمة بالحق ناطقةٌ رُوسٌ لروسٍ وأذنابٌ لأذناب[2]

* ومن ذلك مباهاة حافظ ابراهيم بحُلَّته الجديدة :

لى كساء أنعِمْ به من كساء أنا فيه أتيهُ مثل الكسائى[3]
حاكه العزُّ من خيوط المعالى وسقاه النعيم ماء الصفاء
فكأنى وقد أحاط بجسمى فى لباس من العلا والبهاء
تُكْبِرُ العينُ رؤيتى وترانى فى صفوف الوُلاة والأمراء
ألفَ الناسُ ـ حيث كنت ـ مكانى ألفَةَ المعدمين شمسَ الشتاء
يارداى وأنت خيرُ رداء أرتجيه لزينة وازدهاء

---

(١) خريدة القصر ١/١٩٤ (٢) ن قلاقس ١٧
(٣) أتيه : أزهو . الكسائى : مؤدب أبناء هارون الرشيد . كان إماما فى النحو واللغة توفى سنة ١٨٩هـ

لا أحالت لك الحوادث لونا وتعدّتك ناسجات الجواء[١]
غفلت عنك للبلى نظراتٌ وتخطّتك إبرة الرقّاء[٢]

* ومنه وصف إبراهيم المازنى لحلاق القرية الذى حلق له ، بقوله :

وقعت لى هذه الحادثة فى الريف منذ سنوات عديدة ، قبل أن تتغلغل المدنية إلى قراه ، وكنت أنا الجانى على نفسى فيها ، فقد عرض علىّ مضيفى أن أستعمل موساه ، فأبيت ، وقلت مادام للقرية حلاق فعلىّ به . فحذرنى مضيفى وأنذرنى ووعظنى . ولكنى ركبت رأسى وأصررت أن يحىء الحلاق . فجاء بعد ساعات يحمل ماظنته فى أول الأمر (مخلاة شعير) وسلم وقعد وشرع يحيينى ويحادثنى ، حتى شككت فى أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامى ليس سوى (طلائعه) ولما عيل صبرى سألته عن حلاق القرية ، فابتسم ، ومشط لحيته بكفه ، وأنبأنى أن الحلاق (محسوبى) يعنى نفسه ، فلعنته فى سرى ، وسألته متى ينوى أن يحلق لى لحيتى ؟ أم لابد أن يضرب بالرمل والحصى أولا ، ويحسب الطالع قبل أن يباشر العمل ؟ فلم يفهم ، وأولانى صدغا كثّ الشعر ، وقال: « هيا » فظننته أصم وصحت به (أ ... ر ... يد أن ... أ ... ح . ل ق) فسره صياحى جدا وضحك كثيرا ، وأقبل على (مخلانه) فأخرج منها مقصا كبيرا جدا ، فدنوت من أذنه ، وسألته هل فى القرية فيل ؟

فقال : فيل ؟ لمادا ؟

فأشرت إلى المقص فضحك وقال : هذا مقص حمير ولامؤاخذة

فقلت ولماذا تجيئنى بمقص الحمير ؟ أحمارا ترانى ؟ ويظهر أن معاشرة

---

(١) ناسجات الحواء : الرياح التى تذهب فى الجو طولا وعرضا
(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١ / ١٩٣

الحمير بلدت إحساسه، فإنه لم يعتذر لى ، ولاعباً بسؤالى شيئا ، ثم أخرج موسى من طراز المقص و(مكنة) من هذا القبيل أيضا، فعجبت له لماذا يحى إلىّ بكل أدوات الحمير ؟ وسألته عن ذلك فقال : إن الله مع الصابرين . وبعد أن أفرغ مخلاته كلها انتقى أصغر الأدوات ، وأصغرها أكبر مارأيت فى حياتى . ثم أقبل على وقال « تفضل »

قلت : ماذا تعنى ؟ قال : اجلس على الأرض . قلت : ولماذا بالله؟ قال : ألا تريد أن تحلق ؟ قلت : ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسى ؟ قال : وأنا ؟ قلت فى سرى : وأنت تذهب إلى جهنم ونعم المصير . وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالمبرد ، فقلت : إن وجهى ليس حديدا ياهذا ، قال لاتخف إن شاء الله . ولكنى خفت بإذن الله ، ولاسيما حين شرع يقول « باسم الله ، الله أكبر » كأنما كنت خروفا ، ويبصق فى كفه ويشحذ الموسى على بطن راحته . ثم جذب رأسى ، فذعرت ونفرت ووليت هاربا إلى أقصى الغرفة .

فقال : ماذا ؟

قلت : ماذا ؟ أتريد أن تحلق لى بمبرد ، ومن غير صابون ؟

قال : ماذا يخيفك ؟

قلت : يخيفنى ؟ لقد دعوتك لتحلق لى لحيتى لالتبرد لى شعرها .

قال : ياأفندى لاتخف

وأسلمت أمرى لله، وعدت فقعدت أمامه ، فنهض على ركبتيه، وتناول رأسى بين كفيه، وأمال صدغى إليه، ثم وضع ركبتيه على فخذى ، ولف ذراعه حول عنقى . فصار فمى مدفونا فى صدره ، فصحت أو على الأصح جاهدت أريد الصياح لعل أحدا يسمعنى فينجدنى ، غير أن طيات ثوبه كانت فى فمى . أما رائحة الثوب فبحسب القارىء أن يعلم أنها أفقدتنى الوعى .

ولا أطيل على القارىء : فقد أهوى الرجل بموساه على وجهى ، فسلخ قطعة من جلدى ، فردنى الألم إلى الحياة ، وآتانى القوة الكافية للصراخ ، على الرغم من الكمامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه أسرع منى . وما يدريني لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن يكون المران قد علمه أن يكون يقظا لأمثال هذه المحاورات ، فردنى بقوة ساعده ، فتشهدت وتذكرت قول المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بُد فمن العجز أن تموت جبانا

ثم جاء هذا السفاح بطست يغرق فيه كبش ، ووضعه تحت ذقنى ، وصب ماءه على وجهى وفى صدرى وعلى ظهرى ، ليغسل الدم الذكى الذى أراقه ، وأخرج من مخلاته « منشفة » هى بمسحة الأرض أشبه ، فاعتذرت ، وأخرجت منديلى ، وسبقته به إلى وجهى فهى معركة لا تزال بجلدى منها ندوب وآثار[1] » .

* وكذلك يقول : رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى المهجرى) وقد سئل : لماذا حلق شاربه :

قالوا : حلقت الشاربين وياضياع الشاربين
فأجبتهم : بل بئس ذا ن ولا رأت عيناى ذين
الشاغلين المزعجين الطالعين النازلين
ويلى إذا ما أرهفا ذنبيهما كالعقربين
إن ينزلا لجما فى أو يصعدا التطما بعينى
وإذا هما بُسط الخوان تراهما سبقا اليدين
فإذا أردت الأكل يقتسمان بينهما وبينى
وإذا أردت الشرب يمتصان كالإسفنجتين
فكأننى بهما وقد وقفا بباب المنخرين
عبدان من أشقى العبيد تقاضيا ملكا بدين

(١) صندوق الدنيا

الحَذْلَقَة

١ — يروق لبعض الناس أن يَتَحَذْلق ، أى يظهر حِذْقه ومعرفته ، وكثيرا ما يجره هذا إلى أن يتظاهر بأكثر من قدرته .

وهذا باب من أبواب الفكاهة ، لأن الحذلقة مَشُوبةٌ فى نظر الناس بالغرور ، أو بالتناقض ، أو بالغفلة ، أو بالجهل والادعاء ؛ وقد تحدثنا عن كل منها فيما سبق .

وأيًّا ما كانت الحذلقة فهى تمثل نوعا من الأنواع المضحكة ، لأنها قائمة على عيب أو مرض نفسى يضيق الناس به ، ويريدون علاجه .

٢ — من الحذلقة استعمال الكلمات الغريبة التى لايفهمها السامع ، لأن الكلام حينئذ يمثل جهدا ضائعا لاجدوى من ورائه . وإذا كان السامع لَبِقًا ردَّ على الكلام الذى لا يفهم بكلام مثله لا يُفْهم ، فيزداد الموقف إضحاكا ، لأن جهد المتكلم الأول عبث ، وجهد المتكلم الثانى عبث ، فالجهد الضائع حينئذ مضاعف .

يتجلى هذا فى الحوار الذى دار بين أبى علقمة النحوى وغلامه .

قال له أبوعلقمة : ياغلام ، أَصعَقَتْ العتاريف[1] ؟

فقال الغلام . زَفْفِيلَم[2] . فقال أبو علقمة : ومامعنى زقفيلم؟ قال الغلام : ومامعني صَعَقْت العتاريف ؟

(١) صعقت : صاحت بشدة . العتاريف : جمع العترفان وهوالديك (٢) كلمة لامعنى لها

قال الشيخ : قلت لك : هل صاحت الديوك ؟

قال الغلام : وأنا قلت لك : لم يصح منها شيء .

٣ — ومن الحذلقة التدقيق حيث لا ينفع التدقيق ، وادّعاء العلم بما لا سبيل إلى علمه .

خطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم[١] .

فسمّى مقوم ناقة الله[٢]

أمثلة أخرى

* قال قاسم التمار فى بيان الفرق بين شيئين : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

فكأنما قاس البعد الشاسع الذى بين السماء والأرض ، فوجد الفرق بين الأمرين لا يعادل هذا البعد بالضبط ، وإنما يعادله كله إلا مقدارا صغيرا جدا ، لا قيمة له بالقياس إلى الأبعاد الطوال التى بين الأرض والسماء ، ولذلك قال : إلى قريب من الأرض .

* وقال : رأيت إيوان كسرى ، كأنما رُفِعَت عنه أيدى الصناع صباح أمس. كأنما تصويره لمتانة البناء وروعته بعد أن مرت عليه مئات السنوات ، لا يلائمه أن يقول فيه : كأن الأيدى فرغت منه أمس ، فقال : صباح أمس .

* قال على الأسوارى: فلما رأيته اصفرّ وجهى ، حتى صار كأنه الكُشُوت[٣]

---

(١) ناقة صالح عليه السلام (٢) البيان والتبيين ٢/٢٣٦

(٣) البيان والتبيين ٤/١١ — ١٢ الكشوت : نبات مغر محمر .

تحذلق فشبه بشيء يريد به الإغراب ، فإذا به يخطىء التشبيه .

* دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب ، فقال له : إنى أكلت من لحوم هذه الجوازل[١] ، فطسئت طسأة[٢] ، فأصابنى وجع بين الوابلة[٣] إلى داية العنق[٤] . فلم يزل ينمى[٥] حتى خالط الحلب[٦] ، وأتت له الشراسيف[٧] ، فهل عندك دواء ؟

فقال له الطبيب : خذ حرفا[٨] وسلقنا[٩] وشرقفا[١٠] ثم أهرته[١١] ، ورقرقه[١٢] ، واغسله بماء مروث[١٣] ، واشربه بماء الماء .

فقال أبو علقمة : أعد — ويحك — علىّ ، فإنى لم أفهم منك . فقال له الطبيب : لعن الله أقلنا إفهاما لصاحبه ، وهل فهمت منك شيئا مما قلت ؟

* طلب أبو علقمة حجاما ليحجمه ، وقال له : لا تعجل حتى أصف لك ، ولا تكن كامرئ خالف ما أمر به وفعل غيره . اشدد قصب المحجم[١٤] وأرهف ظبة[١٥] المشارط ، وأسرع الوضع ، وعجل النزع ، وليكن شرطك وخزا[١٦] ، ومصك نهرا[١٧] ، ولا ردن أتيا[١٨] ، ولا تكرهن أبيا[١٩] .

فوضع الحجام محاجمه فى قفته ، وقال : ياقوم ، هذا رجل قد ثارت به المرة[٢٠] ،

---

(١) الجوازل : جمع جوزل وهو فرخ الحمام أو الناقة التى تقع من الهزال .
(٢) طسئت : أصبت بالتخمة (٣) الوابلة : عظم فى مفصل الركبة أو طرف العضد أو الكتف (٤) داية العنق : موضع اتصاله بالظهر (٥) ينمى : يزيد
(٦) الحلب : الكبد او العشاء الذى بين الأضلاع . (٧) الشراسيف : جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع أو طرفه المشرف على البطن (٨) الحرقف : الحرقفة عظم رأس الورك (٩) لامعنى لها (١٠) لامعنى لها (١١) أهرقه: صبه
(١٢) رقرقه : صبه رقيقا (١٣) مروث : فيه روث (١٤) المحاجم : قوارير الحجامة (١٥) ظبة المشارط : حدود المواسى (١٦) الوخز : طعنا بالسن
(١٧) نهزا : فيه ملء للمحاجم وسرعة (١٨) الأتى : المراد به هنا الجرح السائل دمه
(١٩) الأبى . الذى لايسيل دمه (٢٠) المرة : مزاج من أمزجة البدن

ولاينبغى أن يخرج دمه فى هذا الوقت . وتركه وانصرف .

* وقال لغلامه يوما : خذ من غريمنا هذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ، ومن الأمين زعيما ، ومن الزعيم غريما . فقال الغلام للغريم : مولاى هذا كثير الكلام فهل معك شيء ؟ فأرضاه الغريم ، فخلاه الغلام ، فلما انصرف . قال أبو علقمة : ياغلام ، ما صنع غريمنا ؟ قال : سَقِعَ[1] قال : ويلك ، ماممنى سقع ؟ قال : بَقِع[2] . قال : ويلك ، وماممنى بَقع ؟ قال : اسْتقْلع[3] . قال : ويلك ، ماممنى استقلع ؟ قال : انقلع : قال : ويلك ، ولم طوّلت علىّ ؟ قال : منك تعلمتُ .

* قال أبو علقمة لجارية كان يهواها : ياخريدة ، قد كنتُ أخا لك عَرُوبا ، فإذا أنت نَوَارٌ . مالى أمقُـك ، وتشنئينى ؟

فقالت : يارقيع ، مارأيت أحدا يحب أحدا فيشتمه[4] .

* خرج رجل مولع بالكلمات الغريبة إلى مزرعة له ، وكان راكبا فرسه . ووراءها مهرها . فأفلتت منه ، ومعها مهرها ، فخرج يسأل عنها ، فمر بخياط ، فقال : ياذا الصّماح ، وذاتِ السُّمّ الطاعن بها فى غير وَعى ، لغبر عِدًى ، هل رأيت الحَيْفانة القَمّاء ، يَتْبعها الحاسن المَسْرَهفُ كأن غُرّته القمر الأزهر . . .

فقال الخياط : اطلبهما فى تزلخ . فقال : ويلك ، وما تقول قبحك الله ، فما

---

(١) سقع : دهب (٢) بقع : دهب (٣) استقلع : رحل

(٤) الصماعتين ٢٩ العروب : المرأة المحبة لزوجها ، والمراد هنا المحبه ، والكلمةمنصوبة على أنها حال للجاريه أى آبه أحبها على أنها محبة له . نوار : نافرة من الريبة ، والمراد هنا أنها غير محبة له . أمقك : أحبك . تشنئيى : تكرهيى .

أفهم رطانتك . فقال الحياط : امن الله أبغضنا لفظاً ، وأخطأنا منطقاً[١] .

* مرَّ إسحاق بن سليمان الهاشمي على قاصٍّ وهو يقرأ قوله تعالى: « يَتَجَرَّعه ولا يكاد يسيغه » فتنفس ثم قال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويُسيغه[٢] .

* تغدى أبو السَّرايا عند سليمان بن عبد الملك وهو ولى عهد ، وقدامه جَدْيٌ ، فقال له سليمان : كلْ من كليته ، فإنها تزيد فى الدماغ . فقال : لو كان الأمر كذلك لكان رأس الأمير مثل رأس البغل[٣] .

* دخل منصور بن النعمان على أحمد بن أبى حاتم ، وهو يتغدى برءوس . فقال أحمد : هلمَّ يا أبا سهل ، فإنها رءوس الرُّضَّع . فقال : هنيئا لك ، أطعمنا الله وإياك من رءوس أهل الجنة[٤] .

* خطب عَتَّاب بن وَرْقاء ، فحث على الجهاد ، وقال: هذا كما قال الله تعالى :

كُتب القتلُ والقتال علينا وعلى الغانيات جَرُّ الذيول[٥]

* خطب وكيع بن أبى سُود بخراسان ، فقال : إن الله خلق السماوات والأرض فى ستة أشهر .

فقيل له : إنها ستة أيام . فقال وأبيك ، لقد فلتها وإنى لأستقلها[٦] .

* جلس علىٌّ ابن إسحاق بن يحيى مع بعض متغافلى فتيان العسكر . وجاءهم النخاس بجوار ، فقال علىٌّ : لسنا فى تقويم الأبدان ، إنما نحن فى تقويم الأعضاء . ثمنُ أنفِ هذه خمسة وعشرون دينارا ، وثمن أدنيها ثمانية عشر ، وثمن عينيها ستة

---

(١) الصناعتين ٢٧ الصاح : الحيط . دات السم : الإبره . وعى : حرب . الحيفانة : الفرس الطويلة . القباء : الصامره البطن الدقيقة الحصر . الحاسن : الحسن الجميل . المسرهف : المنعم

(٢) عيون الأخبار ٢/٥٨ (٣) البيان والتبيين ٢/٢٣٨ وعيون الأخبار ٢/٤٨

(٤) أخبار الحمقى ٧١ (٥) عيون الأخبار ٢/٤٩

(٦) البيان والتبيين ٢/٢٣٦

وسبعون ، وثمن رأسها بغير شيء من حواسها مائة دينار .

فقال له صاحبه المتغافل : ها هنا باب هو أدْخَلُ فى الحكمة من هذا . كان ينبغى لقدم هذه أن تكون لسافِ تلك ، ولأصابع تلك أن تكون لقدم هذه . وكان ينبغى لشفَتَىْ هذه أن تكون لفم هذه ، وأن يكون حاجبا تلك لجبين هذه . وسمِّى الأول مقوِّم الأعضاء[1] .

* قال أبو دِحية القاصُّ : كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا . فقالوا له : إن يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف[2] .

* قَدَّم نحوى خصما إلى القاضى ، وقال : لى عليه مائتان وخمسون درهما .

فقال القاضى لخصمه : ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضى ، إن له ثلاثمائة درهم ، ولكنه ترك الخمسين ليعلم القاضى أنه نحوى[3] .

أى أن نطق (مائتان وخمسون) أصعب من نطق (ثلاثمائة) من حيث النحو ، فآثر الدائن أن يتحذلق فى نطقه وإن نقص دينه .

* وقف نحوى على بَقَّال يبيع الباذنجان ، فقال له : كيف تبيع ؟ قال : عشرين بدانق . قال : وما عليك أن تقول : عشرون بدانق . فظن البقال أنه يستزيده ، فقال : ثلاثين بدانق . فقال النحوى : وما يمنعك أن تقول : ثلاثون بدانق . وما زالا على ذلك إلى أن بلغ البائع سبعين . فقال له النحوى : وما عليك أن تقول : سبعون : فقال البقال : أراك تدور على الثمانون ، وذلك لا يكون أبدا[4] .

---

(١) البيان والتبيين ٤/١٦
(٢) العقد الفريد ٣/٢٢٠
(٣) نهاية الأرب ٤/١٣
(٤) نهاية الأرب ٤/١٤

الدُّعابة

١ — كثيرا مايتداعب الأصدقاء ، ويتبادلون الفكاهات والنِّكات ، طرحا للكلفة ، وثقةً بالألفة، وترويحا عن النفس ، ومجلبة للسرور ، وإظهارا للمقدرة على التَّندُّر فى غير ماجرْح ولا ثَلْب .

وهم حينما يتفاكهون يتخيرون بعض جوانب الضعف فى أصدقائهم فيتندرون بها ، أو يتخذون خصلة اشتهر بها الصديق ملأمة للدعابة ، فيسخرون بها تضحيما أو قَلْبا أوعكسا ، أو يعمدون إلى شىء يعتز الصديق بامتلاكه ، وليس فى نظرهم حديرا بهذه العزازة ، فيجعلونه مادة لتندرهم ويبالغون فى إعزاز الصديق لما يمتلك .

وإذا كان الغرض هو الدعابة فإنها تحتاج إلى مهارة فى التعبير والتصوير بحيث لاتؤذى الصديق ولا تغض من قدره .

ولقد يبدو فى بعضها مايشبه الإيلام ، ولكنه عند النظرة الفاحصة من مزاحات الأصدقاء الذين لا كلفه بينهم .

٢ — من الدعابة قول إسماعيل بن إبراهيم الحمدونى فى شاة صديقه سعيد :

لسعيدٍ شوَيْهَةٌ(١) سَلَّمَها الضرُّ والتَّلَفْ
فتَغَنَّتْ : — وأَبْصَرَتْ رجلا حاملا عَلَفْ —
يأبى من بكفِّه بُرْءُ مابى من الدَّنَفْ(٢)

(١) شاة صغيرة (٢) الهزال والمرض .

فـــأتاها مُطَـمعِّـــاً فأتتـــه لتعتـــلف
فتـــولىَّ فأقبَـلتْ تَـتَغنىَّ من الأسف
ليتـــه لم يكن وقف عَذَّبَ القلبَ وانصرف

الدعابة هنا فى عدة أمور : وصف شاة الصديق بالضعف والهزال من شدة جوعها وبخل صاحبها ، وتصويرها بأنها لما رأت صاحبها يحمل علفا غَنَّتْ فرحا ، وهدته بأنها ، لأنه سينقذها من مرضها وهزالها . وتصويره بأنه مخادع بخيل ، أطمع الشاة فى أن يعلفها مما يحمل ، ثم تولى عنها بغير أن يطعمها ، ثم وصفها بعد ذلك بأنها حزنت إذ حُرمت ، وجعلت تتغنى بقولها ليته لم يكن قد وقف بما معه من العلف ، فقد عَذب قلبى برؤيته وتركنى .

ومنها أن محمد إمام العبد الشاعر المصرى كان يكتب بالمداد ، فسقطت من قلمه نقطة على القرطاس — وكان إمام العبد أسود اللون — فقال له حافظ إبراهيم : يامحمد تَشِّف عرقك . فهو يداعب صديقه ، فيتخيل أن نقطة المداد السوداء التى سقطت على الورق إن هى إلا فطرة من عرقه ، لأنه أسود اللون ، وعرقه بالقياس أسود اللون .

ولقد اشتهرت مداعبات شوقى لصديقه الدكتور محجوب ثابت ، لما فيها من خفة الروح ، وحلاوة التندر ، وبارع الفكاهة ، وتعدد الألوان .

منها هذه الشوقية التى لم تنشر فى ديوان شوقى ، ونشرتها جريدة الأهرام فى ١٩٥٥/٥/١٨ إذ أرسلها إليها الأستاذ وهيب دوس ، وقد كان من أصفياء شوقى . قالها شوقى على لسان الدكتور محجوب ثابت فى مناسبة خلاف بينه وبين الأستاذ سليمان فوزى صاحب مجلة (الكشكول) . وكان قد دأب على مهاجمة الدكتور محجوب فى مجلته ، فإذا ما التقيا فى (صولت) حاول شوقى ووهيب أن يصالحا بينهما ، فيثور الدكتور محجوب لذلك ، ويقول « يشتمنى فى زفة ، ويصالحنى فى عطفة » :

يمينـــا بالطّلاق وبالعتـــاق وبالدنيـــا المعلّقمة المذاق
وكلّ فقارة من ظهر (مكسى)[1] بصحراء الإمام ، وعظم ساق
وتربته وكلّ الخير فيها ونسبته الشريفة للبراق
وبالخطب الطّوال وما حوته وإن لم يبق فى الأذهان باق
وكسرى الشّعر إن أنشدت شعرا
ونطقى القاف واسعة النّطاق

أيشتمنى سليمان بن فوزى و(ببى) فى يدى ومعى (تباق)[2]
وتحت يدى من العمال جمع يشمّر ذيله عند التلاقى[3]
ولسنا فى البيان إذا جرينا لأبعد غاية فرسى سباق
تقاق ذقنه من عير بيض ولى ذقن تبيض ولا تقاق
وتحلاق اللّحى ما كان رأيى ولا قصّ الشوارب من خلاق
أنا الطيار رجل فى دمشق إذا استدت ورحل فى العراق
أنا الأسد الغضنفر بيدانىّ تسمّرنى الحآذر فى الرّباق[4]
ألا (طز) على العيهور (طز) وإن أبدى مجاملة الرفاق[5]
تقارعة الطريق ينال منى ويوسعنى عناقا فى الزّقاق

---

(١) مكسى : مكسوبى اسم حصان الدكتور محجوب الذى كان يحب عربته
(٢) طباق . لأن الدكتور كان مشهورا بتدخين البيب (٣) كان الدكتور زعيما لحزب العمال (٤) الحآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد هنا الحسان العصفر : الأسد . بيد : عير . الرباق : جمع ربق وهو الحبل الذى يشد به البهم
(٤) العيهور : العيهرة المرأة البرعة الجميلة من غير عفة . وكان الصواب أن يقال للرجل عيهر

وليس من الغريب سوادُ حظّى ... وبالسودان قد طال التصاق

ألم ير أننى أعرضتُ عنه ... وصار لغير طلعته اشتياق ؟

أذُمُّ القُبَّعاتِ ولابسيها ... وتعجبنى الشوادنُ فى الطواق[1]

وأوعز بالعِقال إلى شباب ... رجعتُ بهم إلى عصر النِّياق

فسبحان المفرِّقِ ، حظَّ قومٍ ... قناطيرٌ وأقوام أواق

وقومٌ يرتقون إلى المعالى ... وقومٌ مالهم فيها مراق

وأصحاب المقارف والمرارى ... وأصحاب المزارع والسواق[2]

وأيدٍ لا تكاد تصيب رزقا ... وأيد لا تُسَلُّ من الرفاق

وعيش كالزواج على غرام ... وعيش مثل كارثة الطلاق

أمور يضحك السعداء منها ... ويبكى البُلْشُفى والاشتراق[3]

والذى نلاحظه على هذه الدعابة :

(ا) وفق شوقى فى اختيار القاف قافية لقصيدته ، لأن محجوب ثابت كان مغرما بالقافات وتفخيم نطقها .

(ب) غير شوقى كلمة (الاشتراكى) إلى (الاشتراق) لتصلح للقافية ، ولتناسب غرام محجوب ثابت بالقافات .

(ح) جعل الأقسام — على لسان الدكتور محجوب — بما يعتزبه، وبما يُضَخم أصدقاؤه اعتزازه به ، وبما لايجوز له أن يقسم به .

---

(١) الشوادن : جمع شادن وهو ولد الظبى والمراد هنا الحسان

(٢) المقارف والمرازى . المراد من يتولون أمور الموتى (٣) الاشتراق : الاشتراكى

فالقسم بالطلاق ليس من أقسامه ، لأنه كان أعزب .

والقسم بالدنيا المرة المذاق ملائم لحاله ، لأنه كان ساخطا على حظه .

أما القسم بفقرات ظهر حصانه ، وبعظم ساقه ، بعد أن نَفق ، فإنه تضخيم لإعزاز محجوب لحصانه حيا وميتا ، وذكر صحراء الإمام فى هذه المناسبة إشعار بأن الدكتور قد دفن حصانه فى مقابر الإمام الشافعى ، كما يدفن الأناسىّ .

ويزيد هذا القسم تهكما أن شوقى جعله يقسم بتربة حصانه ، لأن فيها الخير كله ، وجعله ينسبه إلى البراق . ثم أنطقه بقسم آخر ، هو خطبة الطوال ، وعلّق على ذلك بأنها دهبت هباء ، ولم يبق فى أذهان الناس منها شىء .

وتندر به أخيرا فأجرى على لسانه القسم بنطقه الشعر مكسورا ، وبنطقه القاف ضخمة رنانة .

ثم انتقل إلى عجبه من أن يشتمه سليمان فوزى ، وهو المشهور بغليونه ، وهو زعيم العمال الذى يلبون إشارته ، وهو أفصح من سليمان فوزى لسانا ، وهو صاحب اللحية الطويلة التى تطول فى كل يوم ، وهو الرحالة الطيار ، وهو الأسد القوى لكنه زير نساء .

وصور استهزاء الدكتور محجوب بسليمان فوزى ، واحتقاره لاعتذاره بقوله (طز على العيهور طز) وإن حاول أن يترضانى . وعبر عن المثل العامى المشهور ، بأن لا يرضى أن ينال منه على صفحات مجلته ، ثم يترضاه بين صحابته .

ثم ختم القصيدة بعدة أبيات تتصل بتفاوت الحظوظ فى الحياة ، وبتعاليمه التى كان يوجهها إلى الشباب من ذم القبعات ، والإعجاب بما كانت تلبسه الفتيات على رءوسهن (البيريه) وبدعوة الشبان إلى لبس العقال .

ومن الدعابة ما قاله حافظ إبراهيم فى صديقه الدكتور محجوب ثابت حينما

كانا فى ضيافة سعد زغلول بمسجد وصيف سنة ١٩٢٧ وكان الدكتور — فيما قالوا — مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها :

يُرْعِى ويُرْبِدُ بالقافات تَحْسَبُها ... قَصْفَ المدافع فى أفْق الثمانين

من كل فافٍ كأن الله صَوَّرها ... من مارج النار تصوير الشياطين

قد حصه الله بالقافات يَعْلُكُها[1] ... واختص سبحانه بالكاف والنون

يَغيبُ عنه الحجاجينا ويَحْضُره ... حينا فَيُخْلِط مُخْتَلاً بموزون[2]

لا يأمن السامعُ المسكين وَثْبَتَهُ ... من كُرْدِفان إلى أعلى فِلَسْطين

بَينَا تراه ينادى الناسَ فى حَلَبٍ ... إذا به بتحدى القومَ فى الصين

ولم يَكُ ذاك عن طَيْش ولا خَبَلٍ ... لكنها عقربات الأساطين[3]

يَبِيتُ يَدْرُسُ أحلاما مُدَهَّمَةً ... تُغْنِي نعاسبرها عن ابن سيرين[4]

طَوْراً وزيراً مُشاعا فى ورارته ... يُصَرِّفُ الأمرَ فى كل الدواوين

وتارةً روحُ عَطْبُول حَدَلَّةٍ ... حسناءَ تملك آلاف الفدادين[5]

يُغْوَى من المهر إكراما لِلَحْيته ... وما أَظَلَّتْه من دنيا ومن دين[6]

كان الدكتور محجوب ثابت رحمه الله حريصاً على النطق بالقاف ، وكان

(١) يعلكها : يمطها فى صعط وقوة وكأنه يصنع العلك (اللبان)

(٢) الحجا : العقل .

(٣) الأساطين : الأعلام المبرزون (٤) ابن سيرين : عالم بصرى مشهور بتفسير الأحلام

(٥) عطبول : جميلة ممتلئة حدلحه : ممتلئة الذراعين والساقين

(٦) ديوان حافظ إبراهيم ١/١٧٨

طموحا إلى أن يتولى وزارة الصحة ، وكان فى حديثه يتنقل من موضوع إلى موضوع ، كما يقول معاصروه وجلساؤه .

لكن حافظاً ضخّم وبالغ وهوّل ، فجعل الوصف دعابة مضحكة .

ذلك بأنه جعل نطقه بالقاف إرغاء وإزبادا ، أى ثورة وهورانا ، وجعل لها صوتا من فمه يشبه فصف المدافع ، فهى كريهة لما يحدثه صوتها من ذعر ، وهى كريهة لأنها تتمثل فى أنظارهم مردة من الجن .

ثم صوره عاقلا حينا مجنونا حينا ، ولذلك ينتقل فى أحاديثه ، وعبر عن تنقله هذا بأنه وثب من جنوبى السودان إلى أعلى فلسطين ، إلى حلب ، إلى الصين

وعقّب على ذلك بأن هذا الونس فى الحديث ليس ناشئا عن نزق ولا جنون ، وإنما هو عبقرية احتص بها الدكتور محجوب ، لأنه أحد العباقرة فى زمانه . وهو يريد بهذا الوصف أن يجاريه ، لأنه كان يعتقد فى نفسه العبقرية ، وإذاً فلا تناقض بين هذه المجاراة وبين وصفه بالجنون فى البيت الرابع .

ثم تحدث عن أحلامه الجميلة التى يراها لنفسه ، واضحة ليست فى حاجة إلى تأويل . فهو يرى نفسه وزيرا ، لكنه تندّر به فقال إنه وزير مشاع ، أى أنه وزير بغير وزارة ، وله سلطان على كل ديوان . وهو يرى نفسه قد تزوج حسناء فاتنة تملك آلاف الأفدنة ، ولم يقدم لها مهرا . وهنا تندّر به ، فقد كان الرجل كبير السن ، وكان قبيح المنظر ، فكيف ترضى به الحسناء الفتية الغنية ؟ وتندر به أيضاً فى تصويره قد أعفى من المهر ، لا تقديرا لأخلاقه ، ولا لعلمه ، ولا لمكانته ، ولكن تقديرا للحيته ، وقد كان ملتحيا ، والعادة أن الحسان لا يحببن اللحى .

أمثلة أخرى

* خرج أبو دلامة مع المهدى وبعض حاشيته فى رحلة صيد . فمنَّ لهم ظبي ، فرماه المهدى ، فأصابه . ورماه على بن سليمان فأخطأه ، وأصاب الكلبَ الذى معهم ، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا الذى رأيته . فقال :

قدرى المهـــدى ظبيا شَكَّ بالسهم فؤاده

وعلىٌّ بن ســـليما ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهما ، كل امـــرىء يأكل زاده[1]

فى هذه الأبيات تهكم ودعابة ، لأن أبا دلامة صور الحادثة تصويرا فكهة سافرا ، إذ فرق بين الرميتين ، وبين الصيدين ، ثم جعل كلا من الصائدين يأكل ما صاد .

* قال جحظة البرمكى — وكان مغنياً شاعراً — فى صديق له كان حريصا على سماع غنائه :

لى صـديق مُغْرَى بقربى وشَدْوى وله عنـــد داك وجهٌ صفيقُ

قوله إن شَدَوْتُ : أحسنتَ ردنى وبأحسنتَ لا يباع الدقيق[2]

* كان أحمد بن حرب المُهلَّبى يحب إسماعيل بن إبراهيم الحمدونى الشاعر الفكه ، وكان الحمدونى يحبه . وقد وهب أحمد لإسماعيل طيلسانا أخضر[3]

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٣١ ووفيات الأعيان ٢/١٩٢

(٢) معجم الأدباء ٣/٢٤٣ (٣) الطيلسان : لباس العجم ، وكان يلبسه خواص العلماء والشيوخ ، وهو كساء مدور أخضر لا أسفل له كله من صوف ، يلبس على العمائم ويحيط بالبدن .

فلم يعجبه . ونظم فيه خمسين مقطوعة شعرية ، انتشرت ، وجعلت الطيلسان مضرب الأمثال ؛ وفكاهة الأجيال .

من ذلك قوله :

يا ليت خِصْبك عندى ... وحَلَّ عندك جَدْبى
حتى أراك مُرَدّى ... بطيلسان ابن حرب

* ومن ذلك قوله :

قل لابن حرب طيلسا ... نك قومُ نوح منه أحْدَثْ
أفنى القرون ولم يَزَلْ ... عمن مَضَى من قبل يُورَثْ
وإذا العيون لَحَظْنَهُ ... فكأنه باللحظ يُحْرَثْ
يُؤْذَى إذا لم أرْفُهُ ... فإذا فَوْتُ فليس يَلْبَثْ
كالكلب إن تَحْمِلْ عليه هَرَّ أو تتركه يَلْهَثْ

* وقوله :

يا بن حرب كسوتنى طيلسانا ... أمْرَضَتْه الأوجاع فهو سقيم
فإذا ما لبسته قلت سبحا ... نك تحيى العظام وهى رميم

* وقال :

يا بن حرب كسوتنى طيلسانا ... مَلَّ من صحبة الزمان وصَدَّى
طال ترداده إلى الرَّفْو حتى ... لو بعثناه وحده لتَهَدَّى

* ومر يوما بابن حرب وهو جالس على باب داره ، وعلى كتف الحمدونى وسادة ،

فقال له ابن حرب : لأى شئ هذه ياحمدونى ؟ قال : أرفع بها طيلسانك ، فقال : ابن حرب : ما تزال تهجونا بطما وبترا .

وقد حاكى الحمدونى فى تندره بطيلسانه كثير من الشعراء .

* قال عبد الرحيم الهلالى فى طيلسان ابن حرب :

طيلسان كان رسمـــا ثم قد أصبح وهمـا
لاتراه العـــين إلا بعد أن تهجع حُلما
تتعَبُ المقلة كى تد ركك منه أثراً مـــا
تعَبَ الفكرة فى إحـــراجها البيتَ المعمّى[1]

* قال ابن الرومى فى طيلسان ابن حرب :

يابن حرب كسوتنى طيلساناً يتجنّى على الرياح الدنوبا
طيلســـان إذا تنفّسْتُ فيـــه صاح يشكو الصّبا ويشكو الجنوبا
وتهبُّ الرياح من أرض غـــيرى فتهب الغُـــزور فيـــه هُبوبا[2]
تتغنى إحـــدى نواحيه صوتا فتشق الأخرى عليه الجيوبا
فإذا ما عـذلته قال : مهـــلا لن يكون الكريم إلا طروبا
طال رَفوى له فأودَى بكسبى يابن حرب تركتنى محروبا[3]

* تخيل أبو العلاء المعرى — فى رسالة الغفران — أن نابغة بنى جَعْدَة نهض

(١) يتيمة الدهر ١/٢٥٣ (٢) الغزور : التعوف
(٣) ديوان ابن الرومى ٣١٩

مغصبا ، فكره ابن القارح أن ينصرف على غضب ، فقال له : يا أبا ليلى ، إن الله جلت قدرته مَنَّ علينا بهؤلاء الحور العين اللواتى حوّلهن عن خَلق الإوز ، فاخترلك واحده منهن ، تذهب معك إلى منزلك تلاحنك أرقّ اللِّحان ، وتسمعك ضروب الألحان .

فقال لبيد بن ربيعة : إن أحد أبو ليلى فَيْئَةً وأحد غيره مثلها انتشر خبرهما فى الجنة ، فلا يُؤْمَن أن يسمى فاعلو ذلك أزواج الإوز . فأضربت الجماعة عن اقتسام القيان[1] .

* نزل بدمشق العالم الفيلسوف نجم الدين أبو الفتوح أحمد السَّرِى المعروف بابن الصلاح ، وأراد أن يصنع له صانع تمشكا (نوع من الأحذية) بغداديا ، وسأل عن صانع مُجيد ، فدلوه على رجل يقال له سعدان الإسكاف ، فصنع له التمشك بعد أن ماطله زمنا . فلبسه ابن الصلاح ، فوجده ضيقا طويلا ردىء الصنعة ، فصار يعيبه فى أكثر أوقاته ، ويستقبح صنعته ، ويلوم صانعه . وعلم أبو الحكم المغربى الطبيب بذلك[2] ، فقال على لسان ابن الصلاح قصيدة طويلة ، ذم فيها التمشك ، فهى دعابة لصديقه نجم الدين وتهكم بالحذاء وصانعه ، منها :

مصابى مصابٌ تاه فى وصفه عقلى ... وأمرى عجيبٌ شرحهُ ياأبا الفضل

أبثك مابى من أسى وصبابة ... وما قد لقيتُ فى دمشق من الذل

قَدِمْتُ إليها جاهلا بأمورها ... على أننى حُوشيتُ فى العلم من جهل

وقد كان فى رجلى تمشك فخابنى ... عليه زمان ليس يُحْمَدُ فى فعل

---

(١) رسالة الغفران ١٢٧

(٢) كان طبيبا أديبا كثير الدعابة محبا للهو والخلاعة . وله ديوان اسمه نهج الوصاعه (عيون الأنباء ٢/١٤٤ — ١٥٥)

فقلت عسى أن يُخْلِفَ الدهـر مثله وهيهات أن ألقـاه فى الحزْن والسهل
ولاحقنى نذل دُهِيت بقـربه فـلِلَّه مافاسيت من ذلك النـذل
فقلت له : ياسَعْـدَانُ جُدْ لى بحاجة
تحوز بهـا شكر امرئ عـالم مثلى
فقال : على رأسى ، وحَقـك واجبٌ على كل إنسان يرى مذهب العقـل
فناولته فى الحـال عشرين درهما وسوَّفنى شهرين بالدفع والمطْـل
فلمـا قضى الرحمن لى بنجازه وقلتُ : ترى سعدانُ أنجز لى شغلى
أتى بتمشك ضيـق الصـدر أحنَفِ
يكعب غَدَا حَتْفَاً على الكعب والرجل
وبشتيكه بشتيك سوء مقـارب أضيف إلى نعـل شبيه به نَعْـل
وكعب إلى القطب الشمالى مائل ووجه إلى القطب الجنوبى مُسْتَعَلى
مواراة خَطَّىْ جانبيـه تخالفـا فجزء إلى علو وجزء إلى سُفْـل
وكم فيه من عَيْـب وخَرْز مَفَتَّق
يُعافُ ، ومن قَطْـع من الزبج والنَّعل
وطبطب فى رِحْـلىَّ والصيف مـا انقضى
فكيف به إن صرتُ فى الطين والوحل ؟
فـأذهلنى حتى بَقِيتُ مُغَيَّبَـا
ولم يُبْقِ لى سَعْدانُ ياصاح من عقـل
وفى كل ذا قـد بان نقـص دماغـه
فأهِـونْ بشخص ناقص العقل مختـل

وكم آلم الإســـكاف قلبي بمطله
ولاقيت مالاقاه موسى من العِـجـــل[1]

* خرج أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي الأندلسي وهو سكران من دار ابن الخياط فوقع فانشجَّ وجهه ، فلما أصبح زاره الناس يسألونه كيف وقع ؟ فكتب هذه الأبيات ، وتركها عند رأسه ، فكان إذا سأله إنسان يعطيه الأبيات ليقرأها :

وقعتُ على رأسي وطارت عمامتي وضاع شمشكي وابطحتُ على الأرض
وقتُ وأسرابُ الدماء بلـــحيتي ،

ووجهي ، وبعض الشر أهون من بعض
فضى الله أني صرت في الحال هُتْكَةً
ولاحيلة للمـــرء فيما به يَقْـــضي

ولا خـــير في قَـــصْف ولا في لذاذة
إذا لم يكن سُكْـر إلى مثل ذا يُفْضِي

ونظر في المرآة فرأى الجرح غائرا في وجهه تحت جفنه فقال :

تركُ النبيـذ بوَجْنتي جرحـا (. .) النَّمْجة
ووقعت منبطحـــا على وجهي وطارت عِمَّتي
وبقيت منهتـــكا فـــلو لاالليل بانت سَـــوْءتي
وعلمت أن جميـــع ذ لك من تمام اللـــذة
من لي بأخرى مثـــل تلـــك ولو بحلق اللحيـة[2]

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/١٦٤ (٢) عيون الأنباء ٢/١٤٥

* نبحت كلبة الشاعر سعد بن محمد الصيفى الهاشمى حَيْص بَيْص[١] فقتل جَرْوَها بالسيف ، فداعبه أبو القاسم هبة الله بن الفضل بقوله[٢] :

يا أيها الناس إن الحَيْصَ بَيْصَ أتى
بفعلة أورثته الحزى فى البلد
هو الجبان الدى أبدَى شجاعته
على جُرَيّ[٣] ضعيف البطن والجَلَد
فأنشدَتْ أمه من بَعْد ما احتسَبَتْ
دَمَ الأُبَيْلِيقِ[٤] عند الواحد الصَّمَد
« أقول للنفس تأساءً وتعزيةً
إحدى يَدَىَّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ[٥] »
« كلاهما خَلَفٌ من فَقْد صاحبه
هذا أخى حين أدعوه ودا وَلَدى »

* أهدى السيد برهان الدين الكحال[٦] إلى صديقه ابن عنين خروفا - وهما يومئذ بمصر ، فوجده ابن عنين ضعيفاً هزيلا ، فكتب إلى الكحال :

(١) سمى بذلك لأن عسكر الخليفة المقتفى لأمر الله هموا بالخروج من بغداد للقاء السلطان السلجوقى ، وكان الناس فى هرج ومرج وحركة ، فقال سعد بن محمد الصيفى : مالى أرى الناس فى حيص بيص ، فألصق به هذا اللقب أبو القاسم هبة الله بن الفضل ، وداع عنه (عيون الأنباء ١ / ٢٨٨)
(٢) عيون الأنباء ١ / ٢٨٣
(٣) جرى : تصغير جرو
(٤) الأبيلق : تصغير الأبلق وهو الأبيض
(٥) البيتان الأخيران قالتهما أعرابية قبل أخوه ابنا له (الحماسة ١ / ٧٣)
(٦) كان عالماً بصناعة الكحل وخدم بصناعته صلاح الدين الأيوبى

أتتنى أياديك التى لاَ أعدُّها .

لكثرتها ، لا كفر نُعمَى ولا جَهلُ

ولكننى أُنسِيك عنها بُطرفةٌ تَروُقك ، ما وَاتَى لها قبلها مِثلُ

أتانى خروف ما شككت بأنه

حليفُ هوًى فد شَفَّه الهَجْرُ والعَذل

إذا قام فى شمس الظهيرة خِلْتَه خيالا سَرَى فى ظُلْمة ماله ظِلُّ

فناشدته : ما تشتهى ؟ قال : فَتَّةٌ

وساءلته : ما شَفَّه ؟ قال لى : الأكلْ

فأحضرتها خضراءَ مجَّاحة الثَّرَى

مُسَلَّمةً ما حَصَّ أوراقها الفَتْل

فظلَّ يراعيها بعين ضعيفة ويُنشِدها والدمعُ فى العين مُنْهَلُّ

أتت وحياضُ الموت بينى وبينها

وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل[1]

* قال البهاء زهير فى بغلة صديق له .

لك يا صديق بغلة ليست تساوى خَرْدله

تمشى فتحسبها العيو ن على الطريق مُشَكَّله[2]

وتخال مُدْبِرةً إذا ما أقبلت مستعجله

مقدار خطوتها الطويلة حين تسرع أُنمُله

---

(١) عيون الأبناء ٢/١٨٣ (٢) مربوطة مقيدة .

تهتز وهى مكانهـــا فكأنما هى زلزله
أشبهتها بل أشبهتـــ ـك كأن بينكما صله
تحكى صفاتك فى الثقا لة والمهابة والبله[1]

* وقال فى مداعبة صديق له بغدادى تاجر ، كان قد أتى مصر فأقام بها إلى أن نفد ماله :

دخلتُ مصر غنياً وليس حالى بحالى
عشرون حِملَ حريرٍ ومثـــل ذاك نصالى
وحملةٌ من لآلٍ وجوهرٍ شفَّـاف
ولى مماليـك حُودٌ من الملاح النطاف
مرحت أنبسط كيّ وبالجزيـل أكالى
وصرت أجمعُ شملى بسالف وسُلالى
ولا أزال أواحى ولا أزال أصالى
وصار لى حرفاء كانوا تمام حِرالى
وكل يوم خِوانٌ من الحدا والخراف
فبعت كل ثمين معى من الأصناف
استهلك البيع حتى طرّاحنى ولحالى
صرفت ذاك جميعـــاً عصر قبل البصرالى
وصرت فيهـــا فقيرا من ثروتى وعفالى

(١) ديوان البهاء زهير ١٨٠

وذا خروجى منهـا جوعانَ عريانَ حـافى[1]

* داعب الشيخ محمد المعروف بشبانه (المتوفى سنة ١٧٨٥) الشيخ قاسم الأديب بقوله :

سبحـان من قسم النحو س لقاسم وأذلَّ هامه
وكساه ثوب خيانة يَخْزَى بهـا يوم القيامه
هو رِدْء من هجم البيـو ت ورده من خطف العمامه
يحتـال فى اشـل الحريـ ـر ولو تحصن فى دعامه
ويسل كحل العين مِن مَنْ خوفه ينفى منـامه

* فأجابه الشيخ قاسم بقوله :

حَلَّ الذى قسم الشقَّـا لشبـانة وله أدامه
بعمامة لو خالها الـقَـ ـلاَّ توهمها برامه
مورونة عن حـده من قبل أن تُثْنَى القمامه
إن كان دا وحه المطيع فأين أصحاب النـدامه؟
لو كان يصلح للعـلا لُحقّ للقرد الإمامه[2]

* رفقت فرس للشيخ زين العابدين المكى بطريق حدة ، فعزاه فيها على سبيل الدعابة محمود صفوت الساعاتى :

قَضَتْ وهى تدعو فالقَ الحب والنَّـوى
بقلب كئيب دقَّه الحُبُّ والنّوَى

(١) ديوان البهاء زهير ١٣٣ (٢) تاريخ الجبرتى ٢/١٢٨

فكيف نعزى الشيخ فى الفرس التى ... به طوت الأسفار صبراً على الطوى
وكانت به تجرى مع الريح خفةً ... وأشبعها جرياً فعاشت على الهوا
وكانت لتقواها تزول من الهوى ... فتمشى حياء وهى تعثر فى النوى
وإن حملت مالا تطيق لضعفها ... تعوج منها الظهر والذَّنَبُ استوى

هوت فوق تل عُمِّرَتْ وهى تحته ... فكيف هَوتْ والتَّلّ من فوقها هوى

قضت وهى ماذاقت شعيرا لزهدها ... فما شعرت إلا وعُرْقوبها التوى
ألا أيها الخِلُّ الذى طال حزنه ... عليها وفى أحشائه التهب الجَوَى
فعش أنت واسلَم والحمير كثيرة ... ومثلك معدوم النظير لما حوى[1]

وقد تلاعب بالألفاظ على عادته ، كالجناس بين النوى بمعنى التمر والنوى بمعنى الفراق والبعد ، والجناس بين طوت وطوى .

* قال شوقى فى مداعبة صديقه الدكتور محجوب ثابت :

براغيثُ محجوب لم أنسها ... ولم أنسَ ما طَعِمَتْ من دمى
تَشُقُّ خراطيمها جَوْربى ... وتَنْفُذُ فى اللحم والأعْظُم
وكنتُ إذا الصيفُ راح احْتَجَمْـ ... ـتُ فجاء الخريفُ فلم أحْتَجِم[2]
يُرَحِّبُ بالضيف فوق الطريـ ... ـق فبابِ العيادةِ فالسُّلَّم
قد انتَثَرَتْ جَوْقَةً جَوْقَةً ... كما رُشَّتِ الأرضُ بالسِّمْسِم[3]

(١) ديوان الساعاتى ١٧٥
(٢) احتجمت : طلبت الحجام ليخرج بعض دمى
(٣) حوقة : جماعة

وتَرْقُصُ رقصَ المواسي الحداد على الجلْدِ والعَلَقِ الأسحم[١]
بواكيرُ تَطْلُعُ قبل الشتاء وتَرْفعُ ألوية الموسم
إذا ما ابن سينا رَمَى بَلْغَماً رأيت البراغيثَ فى البلغم[٢]
وتُبْصِرُها حول (بيبا) الرئيس وفى شاربَيْه وحول الفم[٣]
وبين حفائر أسنانه مع السّوس فى طلب المطعم[٤]

* كان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به أحياء القاهرة أيام الثورة سنة ١٩١٩ وكان أصدقاؤه يسمون حصانه (مكسويني) وهو اسم بطل إرلندى مشهور انتحر جوعا ، يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وإهمال الدكتور له .

وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة . فنظم شوقى قصيدة يداعب بها صديقه ، ويعزى حصانه :

لكم فى الخطّ سيارَهْ حديثُ الجار والجارَهْ
(أوفَرْلاندُ) يُنَبِّيكَ بها القنصل (طَمَّاره)[٥]
كسيارة (شارلوتَ) على السَّواق جباره[٦]
إذا حَرَّكها مالت على الجنبَيْن مُنْهاره
وقد تَحْرُن أحيانا وتمشى وحدها تاره

---

(١) العلق الأسحم. الدود الأسود الذى يمتص الدم
(٢) ابن سينا : طبيب عربى فيلسوف . والمراد هنا الدكتور محجوب ثابت
(٣) الرئيس : لقب لابن سينا والمراد محجوب ثابت (٤) الشوقيات ٤/١٩٥
(٥) طماره : الشيخ طماره كان إماما بالمفوضية المصرية فى واشنطون
(٦) شارلوت : شارلى شابلن الممثل الهزلى المشهور ، وله مناظر مضحكة مع سيارته

ولا تشبعها عَيْنٌ من (البنزين) فوّاره
ولا تَرْوى من الزيت وإن عامَتْ به الفاره
ترى الشارع فى دُعْرٍ إذا لاحَتْ من الحاره
وصبيانا يَضِجُّون كما يَلْقَون طياره
وفى مَقْدَمها بُوقٌ وفى المؤخرِ زمّاره
فقد تمشى متى شاءت وقد ترجع مختاره
قَضَى الله على السواق أن يجعلها داره
يُقْضى يَوْمَهُ فيها ويَلْقَى الليلَ ما زاره

* * *

أدُنيا الخيل يا مَكْسى كدنيا الناس غدّاره ؟
لقد بَدَّلك الدهر من الإقبال إدباره
فصبراً يافتى الخيل ونفسُ الحر صبّاره
أحقٌّ أن محجوبا سلا عنك بفَخّاره
وباع الأبْلَقَ الحرَّ (بأوفرلاند) نعّاره(١)
ولم يعرف له الفضل ولا قَدَّرَ آثاره
قد اختار لك (الشَّلْحَ) وما كنتَ لتختاره
فَسَلْهُ ما هو (الشَّلْحُ) عسى يُنْبِيك أخباره

(١) الأبلق : لدى فيه سواد وبياض

كأن لم تحمل الرا ية يوم الروع والشاره[١]

ولم تركب الهول ولم تحمل على الغاره

ولم تعطف على جرحى من الصبية نظاره

فمضروب برشاش ومقلوب بغداره

ولا والله ما كلفـ تَ محجوبا ولا (باره)

فلا البرسيم تدريه ولا تعرف نواره

وقد ترعى على (صلت) إذا دامت سماره[٢]

وقد تسكر من خود على الإفريز معقاره[٣]

وقد تشبع يابن الليـ ـل من رنة قيثاره

عسى الله الذى ساق إلى يوسف (سياره)

فكانت خلفهم دنيا له فى الأرض كباره

يهيىء لك هوارا كريما وابن هواره[٤]

فإن الحظ جوال وإن الأرض دواره[٥]

* كان للأستاذ عثمان لبيب حمار يركبه فى ذهابه إلى المدارس بالقاهرة، فسرقه اللصوص.

---

(١) يوم الروع: أيام الثورة سنة ١٩١٩

(٢) صولت، مقصف ومقهى كان يجتمع فيه الصفوة

(٣) الخود: الشابه الناعمة. معقاره: تسكر من نراها

(٤) هواره: قبيلة عربيه تشهر بالكرم، ومنها جماعة فى الصعيد

(٥) الشوقيات ٤/١٩٠

وبلغ الخبر محمود سلامة صاحب جريدة الواعظ ، فرثى الحمار المسروق، وواسى صاحبه بقوله :

قف بسوق الحمير وانظر مَلِيّا ... هل ترى أدهما أغرَّ المحيَّا
خَلَسَتْه يد اللصوص صباحا ... مُوكَفًا مُلْجَماً مُعَدّا مُهَيّا
فخلا إصطبله وأصبح قاعا ... صَفْصَفاً خاوى العروش خَلِيّا
كان — يا حسرتا عليه — صبورا ... قانع النفس راضيا مَرْضِيّا
كم ليالٍ على الطوى قد طواها ... حامدا شاكرا ولم يَشْكُ شيّا
لا لفقر وضيق عيش ولكن ... كان فى الزهد راغبا وتقيا
ليت شعرى أين الأمان وهذا ... جحش عثمان قد عدمناه حيا
كان عوناً له إذا رام ظَعْناً ... وحليلا لدى المقام صفيا
كان إن قلت (هشْ) أجابك طوعا ... وإذا قلت (حا) انتضى سمهريا
لك فيه العزاء عثمان أما ... سالبوه فسوف يلقون غيّا

* أرسل حافظ إبراهيم إلى صديقه وجاره حامد سرى فى يوم زفافه يستهديه من طعام العرس ، وثيابا يلبسها :

أحامد كيف تنسانى وبينى ... وبينك يا أخى صلة الجوار
أيشبع مصطفى الخولى[1] وأمسى ... أعالج جوعتى فى كِسْر دارى
وبيتى فارغ لاشىء فيه ... سواى وإننى فى البيت عارى
وما لى (جزمة) سوداء حتى ... أوافيكم على قرب المزار

(١) من أصهار حامد سرى

وعندى من صحابى الآن رَهْطٌ إذا أكلوا فآسادٌ ضَوَارِى
فإن لم تَبْعَثَنَّ إلىَّ حالا بمائدة على مَتْن البخار
تُغَطِّيها من الحلوى صنوف ومِنْ حَمَلٍ تَتَبَّلَ بالْبَهار
فإنى شاعر يُخْشَى لسانى وسوف أريك عاقبة احتقارى(١)

* داعب مصطفى صادق الرافعى صديقا له رقيق الحال زعم أنه سيشترى عربة :

حَسْبُك أن تدرى يامفلسٌ من عربات الأغنيا باسْمها
والأرض من رجليك مجروحةٌ فما الذى فاتك من جسمها ؟
إن تُردْ الدنيا ومن قَسْمِك الـ ـفقرُ تكن روحك من قَسْمها(٢)

* كان محمد الهراوى وأحمد الزين وحسين شفيق المصرى وحسين الهراوى وزكى مبارك ، جالسين فى مقهى الحلمية ، فجاء إليهم صديقهم محمد الأسمر ، وشكا إليهم من عناد ساعة أهداها إليه صديقه محمد الهراوى ، لأنها ضايقته ونغصت عيشه ، وصارت تمشى مرة (عربى) ومرة (افرنجى) وثالثة لا عربى ولا إفرنجى فكانت فرصة للتنكيت والتيكيت .

أما الدكتور حسين الهراوى فقد أمسك بالساعة ، ثم جس نبضها ، ثم قال : هذه ساعة عندها ضغط دَقّ ، وتحتاج إلى الراحة التامة .

وأما الدكتور زكى مبارك فإنه نظر إليها ثم أنشد مرتجلا :

واهًا لبعض الهدايا بعض الهدايا رزايا

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١٩٢/١
(٢) ديوان الرافعى ١٠١/٢

ساعات باريس عندى لهـا جميع المزايا
تدق دقًّا لطيفـاً كمثل هَمْسِ مُنايا
وســاعة الهـرّاوى أولى ببعض التَّـكايا
تدق دقًّا عنيفاً كما تدور الرَّحايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده ، فهدده الهراوى بإهداء منبه إليـه ، فأمسك .

وكان مجلساً ممتعاً ، سجله محمد الهراوى فى قصيدة طويلة[1]

* اجتمع بعض الأصدقاء ، وكان من بينهم صديقنا الشاعر الأستاذ على الجندى ، والأستاذ عبد الرحيم محمود . فقالوا لعبد الرحيم : إن من عادتنا أن نشترى الفاكهة بالتناوب فوعدهم أن يشترك ، لـكنه لم يحضر بعد ذلك . فقال الأستاذ على الجندى يداعبه :

عُدْ إلينا يا بُلْبُلَ الأفراح إنمـا أنت راحةُ الأرواح
ما قَصَدْنا غيرَ المُزاح ولم يَشْـ ـفِ مريضَ الهموم مثلُ المُزاح
قد رَضِينا منك الأحاديثَ مَوْراً وغَنِينا بها عن التفاح
وقَنِعْنا بالشعر يَنْفَحُ عِطْراً كالصَّبا أقبَلَتْ بعَرف الأقاحى
لا عَدِمْنا أنا (رَشاً) يخلع الأنـ ـسَ على الصحب فى الليالى الملاح[2]

* أهدى محمد الأسمر عصا من الخيزران إلى صديقه الأستاذ على الجندى ، ومعها أبيات ، منها :

---

(١) فلاسفة صعاليك . مخطوط
(٢) ألحان الأصيل ٧٥ رشأ : أحد أبناء محمود عبد الرحيم

يا صديقى وأنت نعم المربّى قد بعثنا العصا ، فَربّ الزّمانا
وإذا ما اللسانُ أخفق فى النصـ ـح فشمِّرْ واجعل عصاك اللسانا
هى نعم الخليلُ والصـاحب الوا فى ، مُعين رفيقَـه ما استعانا
إن تشأ كانت المعينَ وإن شئـ ـتَ رَفيقٌ إن لم يُعاونْك زانا

* فرد عليه بأبيات منها :

قد أتتنى العصا فـكانت أمانا لى ممـا أخاف واطمئنانا
تُحْـفَة من أخ نبيل السجايا لا عَدِمْناه ، يُتْـحِف الإخوانا
(أسمرٌ) لاسْمِـه صَبَـوْنا إلى السُّـمْـ ـرِ وبيضُ الوجوه كانت مُنانا
لو ترانى وقد توكأت فى السَّيْـ ـرِ عليهـا لخِلْتَـنى سلطانا

* فداعبهما صديقهما عبد الحميد فهمى مرسى بقصيدة منها :

أىُّ شىء عَنَى بها (أبيضُ الوجـ ـه) وإن كان زَفَّها صَوْلجانا
كان فى مكره حصيفا وشيطا نا وما كان قبلهـا شيطانا

* أهدى عبد الحميد فهمى مرسى ثلاثة خرفان إلى أصدقائه الثلاثة محمد الأسمر ومحمد عبد الغنى حسن وعلى الجندى ، بعد أن طلبوها بثلاث قصائد .

فلما تسلم الجندى خروفه قال :

أخراف هاتيك أم أنْقَـافُ[1] نَبِّئونا عسى يزول الخلاف
مَسَّـها الضُـرُّ والهُـزالُ فراحت تتهادى كأنهـا أطياف

---

(١) أنقاف : كتاكيت صغار

قد رآها الجزارُ فانتابه الغَشْـ ... ـيُ وخفَّ لحمله الإسعاف[1]

هل سمعتم أو هل رأيتم خرافا ... لا لحوم بها ولا أصواف ؟

قلت لما أتى إليَّ خروفى ... ربِّ أنت المعاذُ مما نخاف

ليس يَرْضَى بها فِدًى (حُجَّة ... الله) ويأبَى قبولها الأحناف[2]

وهى عند ابن حنبل وابن إدريـ ... ـس لحوم تعافُها الأشراف[3]

* داعب محمود غنيم صديقا له شاعرا سُرقت ساعته بقصيدة منها :

هوِّنْ عليك وجِفِّف دمعك الغالى ... لا يَجْمَعُ الله بين الشعر والمال

من أين أصبحتَ ذا مال فَتُسْلَبَهُ ... يا أشبه الناس بى فى رقة الحال ؟

فيالها سبعةً من جيبك انطلقَتْ ... وأنت أحوج مخلوق لمثقال[4]

عوِّذْ نقودك واعْقِدْ حولها عقَداً ... وثيقةً تتحدى كلَّ حلاَّل

قالوا : خَلَتْ يده من كل ماملكَتْ ... فقلت : بل رأسُه من عقله خال

يا ليت شِعْرى ماذا أنت صانعه ... أتُزْمِعُ الصومَ حتى شهرك التالى ؟

أقسَمتُ ما سَلبتْ تلك النقود يَدٌ ... لكنها أبِقَتْ من جيبك البالى[5]

الذئبُ لا يشتهى لحم ابن جِلدته ... فكيف أوقع نَشَّال بنشال[6] ؟

* أغمِى على صديق محمود غنيم فى مخبأ من مخابىء الغارات الجوية عند أول غارة حدثت بالإسكندرية ، فداعبه محمود غنيم بهذه الأبيات :

---

(١) الغشى : الإغماء (٢) حجة الله : الإمام مالك
(٣) ابن ادريس : الإمام الشافعى
(٤) سبعة : كان ثمن الساعة سبعة جنيهات
(٥) أبقت : هربت (٦) صرخة فى واد ٢٠٦٨

أرأيت صـــنْعَ محمد فى مخبأ بالناس حافِلْ ؟
سمع الصـفير مُدَوِّيا فتفـكـكت منه المفاصِلْ
ما كان أشجَعَه فقـد لاقَى القنابلَ بالقنـابلْ
وَوَهَتْ عزيمتـه فأفْلـ ـتَ يابس منه وسائِلْ .
وَيْحى على رفقـائه من قائلٍ هَرَبوا لقاتِلْ(١)

اتهم محمود عنيم صديقه محمد الأسمر بأنه بخيل ، وداعبه بقصيدة ، منها :

صمْ إذا ما الضيفُ حاءك وامنح الضيف عَشاءك
واجعل الصوفَ غطاء الضَّـ ـيْفِ والسقْفَ غطاءك
لا تَصُنْ زادك فى الشِّـ ـعْرَى وفى المِرِّيخ ماءَك
ياصديقى قد فحصنا ك فكان البخلُ داءك
خُذْ نَقِيعَ الجود واشربْـ ـه تجد فيه دواءك
أنت بالبخل مريض نسأل الله شفاءك

ورد عليه الأسمر بقصيدة ، منها :

يا صديقى أنت فى رِشْـ ـدك لم تَلْبسْ رداءك
يا كريم العصر ما أجْـ ـملَ فى الجو ادِّعاءك
شَدَّ ما أبقيتَ شيطا نَ قوافيك وراءك
قد عرفناك صغيرا وتَبَيَّنّا سـخاءك

---

(١) صرخة فى واد - ٢٧

فاحمد الله على الستـ ـر ولا تكشف غطاءك
صرت محمودا جديدا بعد ما داويت داءك
فأطال الله لنجو د الكلامىّ بقاءك[1]

* دعا الوزير دسوق أباظة جماعة من الشعراء إلى حفلة رسمية ، فذهب محمود غنيم بملابسه العادية . فسأله الداعى عن (الردنجوت) فقال :

(الردنجوتُ) ياجنابَ الوزير ليس يَقْوَى عليه جَيْبُ الفقير
رُمْتُ أن أستعيره مثل (ناجى) ثم أحجَمْتُ خوفَ مَنِّ المُعير[2]
كم رأيتُ القصير فوق طويل ورأيت الطويل فوق قصير
لستُ أرضىَ بثوب غبرى وإن هم نسجوه من سُنْدُسٍ وحرير

* فرد عليه ناجى بقصيدة ، منها .

وأقسم لو أن (الردنجوتَ) نِلْتَهُ وجاد به من جاد فَهْراً وسَلَّفا
لقَلَّبْتَه ظهرا لبطن تَخَيُّراً به تَحْسَبَنَّ الوَجهَ من عَبطٍ قفا[3]

---

(١) صرخة فى واد ٢٧٢ — ٢٧٤
(٢) ناجى : الشاعر الطبيب إبراهيم ناجى . (٣) صرخة فى واد ٢٧٧

*

التخلص الفكه

١ — قد يتورط إنسان فى عمل ، يحسبه صواباً ، فإذا هو خطأ ، وبظنه مُرْضياً ، فإذا هو باعث على اللوم والسخرية .

وقد يخطىء فى مقاله ، وهو لا يدرى أنه يخطىء ، أولا يظن أن السامعين قد تنبهوا إلى خطئه .

وقد يُبَاغَتُ بحديث الغرض منه التَنَدُّر به ، أو إثارته ليتندر بغيره ، أو الغرض منه تَغَفُّله .

فإذا كان ممن وُهبوا إسعاف البديهة ، وسرعة الخاطر ، والمقدرة البيانية على الرد المناسب ، والتخلص الفكه ، فإن رده هذا يبعث على الضحك .

٢ — من أمثلة ذلك أن ابن ضَحْيان الأزْدِىّ كان يقرأ « قل يا أيها الكافرين لا أعبد ما تعبدون . » فقيل له : ليست القراءة كذلك ، وإنما هى « قل يا أيها الكافرون . » فقال : قد عرفت القراءة الصحيحة فى ذلك ، ولكنى لا أُجِلُّ أمر الكفار[1] .

فهذا القارىء قد أخطأ القراءة الصحيحة ، فلما نُبِّه إلى خطئه لم يجادِلْ ، ولم يرجع إلى الصواب الذى استفاده ، وإنما ادَّعى أنه قصد ذلك الخطأ ، وعَلَّل لهذا بأنه يحتقر الكفار ، والملائم لاحتقارهم أن ينصب الكلمة ، ولا يرفعها .

ومن ذلك أن قيل لأشعب : لو أنك حفظت الحديث كحفظك هذه النوادر

---

(١) البيان والتبيين ٤/٢٠

لكان أولى بك . فقال : قد فعلتُ . قالوا له : فماذا حفظت من الحديث ؟ قال: حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان فيه خصلتان كُتِب عند الله خالصاً مخلصاً . قالوا : إن هذا حديث حسن ، فما هاتان الخصلتان ؟ قال : نسى نافع واحدة ، ونسيتُ أنا الأخرى[١] .

يتبين من هذا المثال أنهم كانوا يلومون أشعب ، أو يريدون إثارته ليضحكهم، وسواء كانوا قد أرادوا لومه والتندر به ، أم أرادوا إثارته ، فقد وُفِّق إلى حسن التخلص منهم ، برده المضحك هذا .

ومن ذلك أن اللصوص دخلوا دار أبى سَعيد ، فأخذوا كل ما فيها . فلما خرجوا تَبِعهم ، وهو يحمل بعضَ ما تركوه ، فقالوا له : إلى أين يا رجل ؟ وماذا تريد ؟ قال : لم تُبْقُوا لى شيئاً فى دارى ، فخرجت وراءكم لأقيم بداركم . فضحكوا منه وردوا عليه متاعه[٢] .

فهو لم يستصرخ الناس ليغيثوه ، ولم يقاوم اللصوص ، ولم يسكت سكوت العاجز الذى جمع بين العجز وضعف الحيلة ، وإنما احتال هذه الحيلة اللطيفة ، ورد عليهم بهذا الرد الفكه الذى ما كان ليخطر لهم على البال ، فاستحسنوه ، وردوا عليه ما سرقوا منه .

ومن هذا اللون أنه قيل لطفيلى : اشتر لنا لحماً ، فقال : لا أُحسِنُ الشراء . فقيل له: أوْقِد النار . فقال : أنا كسلان . فقيل له : اطبخ . فقال : لا أُحسنُ الطبخ . فلما غُرف الطعام ، قيل له : تقدم ، فكل . فقال : أكره أن أكثر مخالفتكم[٣] .

فهو رفض أن يساهم معهم فى عمل ، لأنه لا يعرف شراء اللحم ، ولأنه كسلان

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٢٩ (٢) ديل زهر الآداب ١٦٠

(٣) محاضرات الأدباء ٣/٣٩٥

لا يستطيع أن يوقد النار ، ولأنه لا يحسن الطبخ . لكنه لم يرفض أن يأكل ، لأنه فى الحقيقة جائع ، وحريص على أن يأكل ، لكنه علل ذلك بأنه قد خالفهم كثيرا ، وليس من اللائق أن يزيد على مخالفاته مخالفة أخرى .

وشبيه بهذا التخلص أن رجلا سأل الشعبي : ماذا كان اسم امرأة إبليس؟ فقال الشعبي : ذاك زواج ما شهدناه[1] :

أراد السائل أن يُحْرج الشعبي ، فسأله سؤالا لا جواب عليه ، ولا علم لأحد به . فتخلص الشعبي بقوله إننى لم أحضر زواج إبليس بامرأته ، لذا لا أعرف اسمها .

أمثلة أخرى

* كان نعيمان من أصحاب رسول الله البدريين مولعاً بالمزح والدعابة . خرج مرة مع أبى بكر الصديق إلى بُصْرَى ، وكان فى الخارجين إلى الحرب بدوى اسمه سُوَيْبط ، وكان سويبط هذا موكلا بالزاد . فجاء نعيمان إليه وقال له : أطعمنى . قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر . فقال نعيمان : والله لأغيظنك : وجاء إلى أناس معهم نوق فقال لهم : اشتروا منى غلاماً عربيا قوياً ، إلا أنه كثير الادعاء ، وربما قال لكم : إنه حر . فإن كنتم لا تشترونه فدعوه ، ولا تفسدوه علىَّ . قالوا : نشتريه منك بعشر قلائص . فباعه لهم ، وأخذ القلائص ، وساقها حتى وصل بها إلى المعسكر ، فعَقَلها . ثم قال للمشترين : دونكم الغلام ، هذا هو فخذوه . فقالوا لسويبط : قد اشتريناك . فثار ، وقال : هو كاذب ، أنا رجل حر . فقالوا : قد أخبرنا بذلك ، وحذَّرنا من دهائه . ووضعوا فى عنقه

(١) العقد الفريد ٣/٢٢٨

حبلا ، ومشوا به . فجاء أبو بكر فأُخبر بذلك . فذهب فى بعض صحابته ، وردوا القلائص إلى أصحابها ، واستردوا سويبطاً . ثم أخبروا النبى عليه الصلاة والسلام ، فضحك من هذه الفعلة حولا كاملا[1] .

* من مزاح نعيمان أن مرَّ يوماً بمخرمة بن نَوْفل الزُّهرى وهو ضرير فقال له قُدْنى حتى أبول . فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخر المسجد قال له : اجلس . فجلس مخرمة ليبول ، فصاح الناس : يا أبا المِسْور ، أنت فى المسجد . فقال : من قادنى ؟ قالوا : نعيمان . قال : لله علىّ أن أضربه بعصاى إن وجدته .

فبلغ ذلك نعيمان ، فجاء يوما إلى مخرمة فقال : يا أبا المسور ، هل تريد نعيمان ؟ قال : هو ذا يصلى . وأخذ بيده ! وجاء به إلى عثمان بن عفان وهو يصلى ، فقال له : هذا نعيمان . فعلاه مخرمة بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين . فقال : من قادنى ؟ قالوا : نعيمان . فقال : لن أعرض له بسوء أبدا[2] .

قال الأصمعى : رأيت بهلولا فائماً ومعه خَبِيصٌ ، فقلت : إيش معك ؟ قال ؟ : حبيص . فقلت . أطعمنى منه . قال : ليس هولى . قلت : لمن هو ؟ قال : هو لحمدونة بنت الرشيد ، بعثته لى آكله لها[3] .

* دفعت عائشة بنت عثمان أشعبَ إلى البَزَّازين ليتعلم بيع الثياب ، ثم قالت له بعد عام : هل تعلمتَ شيئا ؟ قال : نعم ، تعلمت نصف العمل ، وبقى نصفه . قالت : وماذا تعلمت ؟ قال : تعلمت النَّشْر ، وبقى الطَّىُّ[4] .

* سأل أشعبَ صديقٌ لأبيه : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألحَى[5] ،

---

(١) نهاية الأرب ٣/٤ (٢) نهايه الأرب ٤/٤

(٣) فوات الوفيات ٨٢/١ الحبيص : تمر وسمن

(٤) الأغانى ٨٣/١٧ وفى فوات الوفيات ٢٢/١ أنه قال ذلك لأمه

(٥) داهيه

وافت لست الحى ، فإلى من خرجت ؟ قال : خرجتُ لأمى [١]

* استشار زياد رجلا من ثقاته فى امرأة يريد أن يتزوجها ، فقال له صديقه : لا خير لك فيها ، إنى رأيت رجلا يُـقَبِّـلها . فتركها زياد . ثم خطبهـا صديقه وتزوجها . فلما علم زياد أرسل إليه ، وقال له : أما قلت لى : إنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : نعم ، رأيت أباها يقبلها [٢] .

* كان مُرَبِّـد المدينى ممن اشتهروا بالمجون والنوادر . ومن نوادره أنه أخذه بعض الولاة مُتَّـهَماً بالشرب ، فشم رائحة فمه ، فلم يجد شيئاً فقال : فَيِّـئوه . فقال مُزَبِّـد : ومن يضمن لى عَشائى ، أصلحك الله ؟ فضحك منه وأطلقه [٣]

* قيل لمزبِّـد : ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو منزلك ، وحمير الناس تسرع إلى منازلها ؟ قال : لأنه يعرف سوء المُنْـقَلَـب [٤] .

* باع مُزَبِّـد المدينى دابة ، فلما كان الغد أتاه النخاسون ، فلما رآهم قام يصلى وأطال ، حتى مَلوا ، فقالوا له : قد ذهب بومنا ، فانفتل من صلاته ، وقال لهم : ما جاء بكم ، فقد قطعتم علىَّ صلاتى ؟ قالوا له : قدظهر بالدابة عيب . قال : وما هو ؟ قالوا : يخلع الرَّسَـن . قال : لا أعرفه بهذه الصفة ؛ فماذا تريدون ؟ قالوا : واحدة من ثلاثة: إما النقص من الثمن ، وإما رد الثمن وأخذ الدابة ، وإما اليمين بالله أنك ما تعرف هذا العيب فيه .

فقال : أما الثمن فقد فَرَّقناه . وأما النقص منه فما يمكننا . وأما اليمين فإنى ما حلفت قط على حق ولا على باطل . فأعفونى منها ، فإنها أصعب الخطط عندى .

---

(١) الأغانى ٩٩/١٧ وفوات الوفيات ٢٣/١

(٢) العقد الفريد ٤٧٠/٢ وفوات الوفيات ٣٠٤/٢

(٣) نهاية الأرب ٢٣/٤

(٤) نهاية الأرب ٢٤/٤ وفوات الوفيات ٣٠٤/٢

قالوا : ما مِنْ ذلك بُدٌّ . فانطلِقْ معنا إلى الوالى . فذهب معهم ، فلما بصُر به الوالى ضحك ، وقال : ما جاء بك يا أبا إسحاق ؟ فقص عليه القصة . فقال الوالى : قد أنصفك القوم . فقال مُزَبِّد : أعزَّ الله الأمير ، هل أحلف وأنا فى هذه السن ؟ وضرب يده على لحيته ، وبكى ، وقال : ما حلفت على حق ولا على باطل . قال الوالى : لا بُدَّ . فقال مزبد : أصلح الله الأمير ، فإن حملت نفسى على اليمين وحلفت وأعْنَتُونى بَعْدُ ؟ قال الوالى : أوجِعُهم ضربا وأحبسهم ؛ فلما سمع ذلك استقبل القبلة ، وقال: بَلَغْتُ السماءَ ، وكَوَّرْتُ الشمسَ ، ونثرت الكواكب ، وشربت البحر ، ولقيت الله بذنب فرعون . . . لقد كان عندى دواب كلها تخلع أرسانها ، وكان هذا الحمار يقوم فيعيدها إليها ، ويصلها بفمه قليلا قليلا . فضحك الوالى حتى غص برجليه ، وبُهِتَ النخاسون ، وعجبوا منه ، وانصرفوا[1] .

* غذَّى أشعب جَديا بلبن أمه حتى كبر . ثم قال لزوجته أم ابنه وَرْدان : إنى أحب أن تُرْضعيه بلبنك . ففعلَتْ ، ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : تالله إنه لابنى ، رضع من لبن زوجتى ، وقد حَبَوْتُك به ، ولم أر أحدا أجدر به منك . فنظر إسماعيل إليه ، وأمر به ، فَذُبح وسُمِط ، فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأةَ . فقال إسماعيل : ما عندى والله اليوم شىء . ونحن من تعرف ، ولن تفوتك المكافأة . فلما يئس أشعب منه قام من عنده ، فدخل على أبيه جعفر ، ثم اندفع فشهق حتى التقت أضلاعه . ثم قال : أريدك فى حلوة . قال : ليس معنا أحد يسمع ، وليس هنا أحد يرانا ، فقل ماتريد . قال أشعب : وثب ابنك إسماعيل على ابنى فذبحه ، وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ؟ ولماذا ذبحه ؟ ومادا تريد ؟ قال أشعب : أما الذى أريده فوالله مالى

---

(١) ديل زهر الآداب ١٥٨

فى إسماعيل حيلة ، ولايسمع هذا الخبر أحد بعدك . فأعطاه جعفر مائتى دينار ، وقال خذ هذه ، ولك عندنا ما تحب .

وخرج جعفر إلى ابنه إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه ، فإذا به مسترسل فى مجلسه . فلما رأى أباه متغيرا دهش ، وقام إليه ، فقال له جعفر : يا إسماعيل فعلتَها بأشعب ، فتلت ولده ؟ فضحك إسماعيل وأخبر أباه بقصة الجدى الذى أرضعه أشعب بلبن امرأته .

فضحك جعفر ، وكان يقول لأشعب : رُعْتَنى راعك الله . فيقول له أشعب: روعة ابنك بنا فى الجدى أكبر من روعتك بمائتى الدينار[1] .

* خرج الحجاج يوما للتنزه ، فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه ، وانفرد بنفسه ، فإذا هو برجل من بنى عِجْل ، فقال له : من أنت أيها الشيخ ؟ قال : من هذه القرية . قال : كيف ترون عُمَّالكم ؟ قال : شرٌّ عمال ، يظلمون الناس ويَسْتَحِلُّون أموالهم . قال : فكيف قولك فى الحجاج ؟ قال : لم يتول العراقَ شرٌّ منه ، قبَّحه الله ، وقبح من ولاَّه . قال الحجاج : أتعرف من أنا ؟ قال الرجل : لا . قال : أنا الحجاج . فقال الرجل جُعلتُ فِداك ، أو تعرف مَنْ أنا ؟ قال الحجاج : لا . فقال : أنا فلان بن فلان ، مجنون بنى عِجْل ، أُصْرَعُ فى كل يوم مرتين . فضحك الحجاج ، وأمر له بصلة[2] .

* انفرد الحجاج يوما عن عسكره ، فلقى أعرابيا ، فقال : يا أعرابى كيف الحجاج ؟ قال : ظالم غاشم . قال الحجاج : فهلاَّ شكوتَه إلى عبد الملك ؟ فقال الأعرابى : لعنه الله ، إنه أظلم منه وأغشم . ثم لحق العسكر بالحجاج ، فقال لهم :

---

(١) الأغانى ١٧/٨٩ ونهاية الأرب ٤/٣٧

(٢) المستطرف ١/٥٦ والأذكياء ٩٤

أركبوا البدوى ، فأركبوه ، فسألهم عن رئيسهم فقالوا : هو الحجاج . فركض الأعرابى فرسه خلف الحجاج ، وقال : يا حجاج! فال له: ما لك ياأعرابى ؟ فقال . السرُّ الذى بينى وبينك لا يَطَّلع عليه أحد . فضحك الحجاج وخلاَّه[١] .

* قال الوليد بن عبد الملك لبَديح المغنى : خذ بنا فى الأمانى فلأغلبنَّك . فقال : والله لا تغلبنى فيها أبدا . قال الوليد فتَمنَّ . قال بديح : أتمنى كِفْلَين[٢] من العذاب ، وأن يلعننى الله لعنا يُشَنُّ على من خلفى ومن قُدَّامى . قال الوليد : علبتنى لعنك الله[٣] .

* أتى قوم إلى عِبادِىّ الصيرفى ، فقالوا : نحب أن نُسْلِفَ فلانا ألف درهم .

فقال : هاتان حاجتان ، وسأقضى لكم إحداهما ، وإذا فعلت ذلك فقد أنصفت . أما الدراهم فلا تَسْهل علىَّ ، ولكنى أؤجله سنتين[٤] .

* مرَّ ابن أبى علقمة بمجلس جماعة من بنى ناجية ، فكَبا حماره على وجهه ، فضحكوا منه . فقال : ما يُضْحككم ؟ إنه رأى وجهاء قريش فسجد[٥] .

* قالت امرأة لأشعب : هَبْ لى خاتمك . قال : لمادا ؟ قالت : لأذكرك به . قال : اذكرينى بأنك طلبت منى فمنعتك ، فلمع أحبُّ إلىَّ[٦] .

* كان بمكة رجل يجمع الرجال والنساء ، ويحمل لهم الشراب . فشكاه الناس إلى عامل مكة ، فنفاه إلى الجبل . فبنى منزلا ، وأرسل إلى إخوانه أن يعاودوا ما كانوا

---

(١) الأذكياء ٩٥
(٢) كفلين : ضعفين (٣) محاضرات الأدباء ١ / ٢٨٢ والأذكياء ١٠٧
(٤) البيان والتبيين ٤ / ٦ وفى العقد الفريد ٣ / ٣٢٩ أنها حدثت مع أشعب
(٥) البيان والتبيين ٤ / ٥ وعيون الأخبار ٢ / ٢٠٤
(٦) الأغانى ١٧ / ٩١ والصناعتين ١٩

فيه . فقالوا : وأين بك وأنت بعيد ؟ قال: حمارٌ بدرهم ، يحمل راكبه إليَّ . ففعلوا، وكانوا يركبون إليه ، حتى فسد بعض الشبان . فأعاد الناس شكايته إلى العامل ، فأرسل فأتي به ، فقال له الوالي : ياعدو الله ، طردتك ، فصرت تفسد . قال : يكذبون عليَّ أصلح الله الأمير . فقالوا : الدليل على صدقنا أن ترسل إلى الجبل بحمير مكة التي للكراء مع أمناء ، فإن اهتدت إلى منزله دون المنازل ، فنحن صادقون . فقال الوالي : هذا دليل صادق وشاهد عدل . وأمر فأرسلت حمير مكة ، فسارت إلى منزله كأن دليلا يهديها . فقال للرجل : ليس بعد هذا دليل ، جرِّدوه لتحدَّه . فلما نظر الرجل إلى السياط قال : لابد من ضربي ؟ قال الوالي : نعم ، ياعدو الله . قال : ليس ضربي أشدَّ عليَّ من أن يَشْمت بنا أهل العراق ويضحكوا منا ، ويقولوا : أهل مكة يحيرون شهادة الحمير . فضحك الوالي واستتابه وخلَّى سبيله[1] .

* جاء رجل أعمى إلى عين ماء ليغتسل ، فنزل بثيابه ، فقيل له : بللت ثيابك. قال تبتل عليَّ أحبُّ إليَّ من أن تجف على غيري[2] .

* خرج جماعة في سفر ، فلحق بهم طفيلي ، فاتفقوا على أن يُخرج كل واحد منهم شيئا للنفقة . فقال الأول عليَّ كذا ، وقال الثاني ، وعليَّ كذا ، وقال الثالث: وعليَّ كذا . . . فلما بلغوا الطفيلي قال لهم : وعليَّ . وسكت ، فقالوا : أي شيء عليك ؟ قال : لعنة الله . فضحكوا منه وأعفوه من النفقة[3] :

* تزوج نُصَيب الشاعر على زوجته أمَّ محجن: ثم أراد أن يجمع بين زوجتيه، ليصلح بينهما . فقال لأم محجن إني أكره أن ترى بك زوجتي الجديدة خصاصةً وفقرا ، فخذي هذا الدينار ، واعملي لها غذاء به .

(١) العقد الفريد ٣/٣٢٣
(٢) العقد الفريد ٣ / ٣٣٣ (٣) التطفيل ٥٤

وأتى إلى زوجته الجديدة وقال لها: غدا سأجمعك بأم محجن ، وهى ستكرمك، وأكره أن تدخل عليها خالية ، فتظن أنك فقيرة محتاجة ، فخذى هذا الدينار ، وأهدِى لها شيئا به . وأمر كلا منها أن تكتم خبر دينارها .

ثم قال لصاحب له : غدا سأجمع زوجتى ، فتعال إلىَّ مُسَلِّما ، فإنى سأستبقيك للغداء ؛ فإذا تغديتَ ، فسَلْنى عن أحبهما إلىَّ .

فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة أمَّ محجن ، وحضر صديقه . فلما تغدوا قال له صديقه : أحب أن تخبرنى عن أحب زوجتيك إليك . فقال له : سبحان الله، أتسألنى عن هذا ، وهما تسمعان ؟ قال : فإنى أقسم عليك لتُخْبِرَنى : فقال نصيب : أحبها إلىَّ صاحبة الدينار . والله لا أزيدك على هذا شيئا .

فامتلأت نفس كل منها سرورا ، وهى تظن أنه قصدها وحدها[1] .

* كان إبراهيم بن على بن هَرْمة الشاعر الفكه المزَّاح مغرما بالشراب . وقد امتدح الخليفة أبا جعفر المنصور ، فقال له المنصور : سل حاجتك . قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة ألا يَحُدَّنى إذا وجدنى سكران . فقال المنصور : هذا حد لا سبيل إلى تركه . فقال إبراهيم : مالى حاجة غيرها . فقال المنصور لحاجبه : اكتب إلى عاملنا بالمدينة : إذا أتاك ابن هرمة سكران فاجلده ثمانين ، واجلد الذى جاءك به مائة . فكان الشُّرَط يمرون به وهو سكران ، فيقولون : من يشترى ثمانين بمائة ؟ فيرونه ويتركونه[2] .

* خرج الخليفة — المهدى للصيد ، فبعد عن أصحابه حتى انتهى إلى خباء أعرابى . فقال : يا أعرابى هل من قِرًى ؟ قال الأعرابى : نعم . وأخرج له خبزا

---

(١) الأذكياء ١٠٠

(٢) دوو الفكاهة ١٢

فأكله ، ولبنا فسقاه ، ثم أتى له بشراب فشرب منه قدحا فلما شرب المهدى قال له : أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله . قال المهدى : أنا من خدم خاصة الخليفة . فقال الأعرابى : بارك الله فى موضعك . ثم سقاه قدحا ثانية ، فلما شربه قال : أتدرى من أنا ؟ قال الأعرابى : زعمت أنك من خدم الخاصة ، فقال المهدى : لا ، أنا من قواد أمير المؤمنين . فقال الأعرابى : رَحُبَتْ بلادك ، وطاب مزادك ومرادك . ثم سقاه قدحا ثالثا ، فلما شربه قال : ياأعرابى ، أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين . قال : لا ، ولكنى أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابى الشراب ، وأبعده عنه ، وقال : والله لئن شربت الرابع لتزعمن أنك رسول الله . فضحك المهدى . ثم أحاطت بهم الخيل ، ونزل الأشراف ، ومشوا نحو المهدى فى إجلال . فأيقن الأعرابى أنه هو الخليفة ، فطار قلبه من الخوف . فقال له المهدى : لا بأس عليك . وأمر له بصلة . فقال الأعرابى : أشهد أنك صادق ، ولو ادعيت الرابعة لصدقتك[1] .

* دخل أبو دُلامة على المهدى فقال له : سَلْنِى حاجتك . فقال : ياأمير المؤمنين هَبْ لى كلبا . فغضب المهدى ، وقال له : أقول لك سلنى حاجتك فتطلب منى كلبا . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، الحاجة لك أم لى ؟ قال المهدى : بل لك . قال : فإنى أسألك أن تهب لى كلب صيد . فأمر له بكلب صيد . فقال : يا أمير المؤمنين هَبْنى خرجت إلى الصيد ، فهل أعدو على رجلىّ ؟ فأمر له بفرس . فقال : يا أمير المؤمنين : من يخدم الفرس ؟ فأمر له بغلام . فقال : يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه ؟ فأمر له بجارية . فقال : هل يسكن هؤلاء فى العراء ؟ فأمر له بدار . فقال : ياأمير المؤمنين قد صيرت فى عنقى جملة من العيال ، فمن أين لى قوتهم ؟ قال : قد أقطعتك ألف جريب عامرا وألف جريب غامرا

(١) نهاية الأرب ٤/٨

قال أبو دلامة : أما العامر فقد عرفتُ ، فما الغامر ؟ قال المهدى : الخراب الذى لاشىء فيه . فقال أبو دلامة . أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبادية ، وأسأله عن كل ألف جريب جريبا واحدا عامرا . فضحك المهدى ، وقال له : هل بقيتْ لك حاجة ؟ قال : نعم ، تأذن لى أن أقبل يدك . فقال المهدى : لا ، ليس لك إلى ذلك سبيل . قال أبو دلامة : والله مارفعت لى حاجة أهون علىَّ منها[1] .

* تخلف أبو دلامة عن مجلس أبى جعفر المنصور أياما ، فلما حضر أمر بأن يلزم القصر ، وأن يصلى الأوقات فى مسجده ، ووكّل به من يلاحظه فمر به أبو أيوب المرزبانى وزير أبى جعفر ، فدفع إليه أبو دلامة رقعة مختومة ، وقال : هذه ظلامة لأمير المؤمنين . فأدخلها الوزير إلى المهدى مختومة ففتحها المهدى ، فإذا فيها :

ألم تعلموا أن الخليفة لزّنى[2] بمسجده والقَصْر ، مالى وللقَصْر
أصلىّ به الأولى مع العصر دائما فويلى من الأولى وويلى من العصر
ويحبسنى عن مجلس أستلذه أعلّل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله مالى بيّنةٌ فى صلاتهم ولا البرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى
وما ضرّه — واللهُ يُصلح أمره — لوَ أن ذنوب العالمين على ظهرى

فضحك المنصور وأحضره ، وقال : ماقصتك؟ قال : دفعتُ إلى الوزير رقعة مختومة أشكر فيها أمير المؤمنين ، والذى كتبها ابنى دلامة فقال له أبو جعفر : اقرأها . قال لا أحسن أن أقرأ . لأنه علم أنه إذا قرأها يحده الخليفة بذكر الصلاة . فلما رآه يتنصل من قراءتها قال له : أحببتُ لو كنتَ أقررتَ لأضرب بك الحد ،

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٩١ (٢) لزنى : ألصقنى وحبسنى

والآن أعفيتك من لزوم المسجد . فقال أبو دلامة أكنت تضربنى لو أقررت ؟ قال : نعم . فقال : مع معرفتك قول الله تعالى : « يقولون مالايفعلون »[١] ! فضحك المهدى وأعجب ببديهته ووصله[٢] .

* دخل أبو العيناء على الوزير إسماعيل بن بلبل ، فقال له : ما الذى أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سرق حمارى . فقال له : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأحبرك . فال الوزير : فهلاّ أتيتنا على غيره ! قال : قعدبى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهتُ دل المكارى ، ومِنَّةَ العوّارى .

* خاصم أبو العيناء عَلوَيًّا فقال له العلوى : أتخاصمنى وأنت تقول كل يوم : اللهم صل على محمد وعلى أل محمد! فأجابه أبو العيناء بقوله : لكنى أقول : الطيبين الطاهرين ولستَ منهم[٣] .

* خرج الرشيد يوما فى ثياب العامة ومعه بعض حاشيته فى مثل زيه فنزل بهم رجل ، فَشَغَل على الرشيد ، وهمَّ بطرده . فقال أبو نواس : سأخرجه من غير إساءة إليه . وتوجه إلى الجماعة قائلا : علىَّ طعامكم . فقال الرشيد : وعلىَّ شرابكم . وقال يحيى بن خالد : وعلىَّ عِطرُكم . ثم نظر أبو نواس إلى الرجل وقال له: وماذا عليك ؟ فقال ، علىّ ألا أفارقكم من اليوم إلى يوم آخر مثله . فقال الرشيد ، هذا ظريف لا يَحْسنُ إخراجه[٤] .

* تحاكم الرشيد وزبيدة إلى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج[٥] ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى شعراء المشركين : « والشعرا يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لايفعلون » .

(٢) وفيات الأعيان ١ / ١٩٢ والوزراء والكتاب ١١٥

(٣) وفيات الأعيان ١ / ٥٠٥ .

(٤) أخبار الظراف ٥٩ (٥) الفالوذج : (البالوظة). اللوزينج: نوع من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .

أيهما أطيب طعما ، وأحلى مذاقا . فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد بإحضارهما وقدما إلى أبي يوسف ، فجعل يأكل من هذا مرة ، ومن ذاك مرة ، حتى أكل نصف الصحفتين . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أصدق منهما ، كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته[1] .

* قال سائل لأبي نواس : هب لي هذه الجبة . فقال : لا أملك غيرها . قال السائل : إن الله تعالى يقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فقال أبو نواس : هذه الآية نزلت في شهر تموز (يوافق يوليه) في حق أهل الحجاز ، ولم تكن نزلت في شهر كانون (كانون الأول يوافق ديسمبر والثاني يوافق يناير) في حق أهل بغداد[2] .

* دخل رجل أعور على معن بن زائدة — وكان كريما — فأمر له بجائزة . ثم دخل عليه رجل آخر ، وكان أعور أيضا ، فأمر له معن بجائزة . فشكرا له كرمه وخرجا ، ثم عادا إليه يمشيان متجاورين بحيث صارت عيناهما لكفوفتان متجاورتين . فقال لهما معن : لقد أعطيتكما منفردين ، فماذا تريدان ؟ .

فقال أحدهما : بيننا الآن رجل أعمى يستحق الصدقة . فأعطاهما معن ضعف ما أخذاه . فقال أحدهما :

ألم ترى وعمراً حين نمشي ... نريد السوقَ ليس لنا نظير

أما شيه على يُمنىَ يديه ... وفيما بيننا رجل ضرير

* حدث البحتري أنه كان عند المتوكل هو والحسن بن أبي الحسن البصري وزرعة بن أبي حمزة الهلالي . وكان بين يدي المتوكل عُبادة المخنث . فأمر

---

(١) المستطرف ٢ / ٢١٧ والأذكياء ٦١ (٢) أخبار أبي نواس ١٢٣ وفي فوات الوفيات ٢ / ٣٠٤ ان القصة مع مزبد المديني لا مع أبي نواس

المتوكل فـأُلقِـى عبادة فى بركة الماء فى الشتاء ، فابتل ، وكاد يموت بردا . ثم أُخرِج و أُلبِس ، وجُعِل فى ناحية المجلس . فقيل له : ياعبادة ، كيف أنت ؟ وما هَالَك ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، جئت من الآخرة إلى الدنيا . قال له : كيف تركت أخى الواثق ؟ قال . لم أُجُز بجهنم حتى أراه . فضحك المتوكل ، وأمر له بصلة[1] .

☆ قال محمد بن الحجاج راوية بشار بن بُرْد : مات لبشار حمار ، فقال : رأيت حمارى البارحة فى النوم ، فقلت له : ويلك ، مالك مُتَّ ؟ قال : إنك ركبتنى يوم كذا ، فررنا على باب الأصبهانى ، فرأيت أتانا عند بابه ، فعشقتها ، فمُتّ . وأنشد :

سـيدى خذ لى أمانا ... من أتان الأصبهانى
إن بالبـــاب أتانا ... فَضَـلَـتْ كلّ أتان
تَيّـمَـتْـنى يوم رُحنا ... بثنـــاياها الحسان
وبُحسِـــن ودلال ... سلّ جسمى وبَرَانى
ولها حـــدٌّ أسيل ... مثل خدّ الشّـنفرانى
فبها مُتّ ، ولو عشـ ... ـت إذاً طال هوانى

فقال له رجل : ياأبا معاد ، ما الشنفرانى ؟ قال : هو شىء يتحدث به الحمير ، فإذا لقيت حمارا فاسأله[2] .

☆ بينا قوم جلوس عند رجل من المدينة يأكلون عنده حيتانا إذ استأذن عليهم أشعب ، فقال أحدهم : إن من عادة أشعب أن يبسط يده إلى أحسن الطعام ،

(١) العقد الفريد ٣/٣٢٩ (٢) العقد الفريد ٣/٣٣٢ الشنفرانى : كلمة لامعنى لها .

فاجعلوا الحيتان الكبار بعيدة عنه ، ليأكل من صغار السمك . ففعلوا، فلما دخل أشعب قالوا له : كيف رأيك فى الحيتان ؟ فقال : إن لى عليها حقدا شديدا ، لأن أبى مات فى البحر ، وأكلته الحيتان . قالوا له : هلمّ خذ بثأرك منها . فجلس ، ومد يده إلى حوت صغير ، ثم وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى الصحفة التى فيها الحيتان الكبار فى ركن المائدة ، وقال : أتدرون مايقول هذا الحوت الصغير ؟ قالوا: لا . قال : إنه يقول : إنه لم يحضر موت أبى ، ولا أدركه ، لأنه سنه يصغر عن ذلك . وقال لى : عليك بتلك الحيتان الكبار التى فى ركن المائدة ، التى أدركت أباك وأكلته[1] .

* جاء طفيلى إلى عرس ، فمنع من الدخول ، وعرف أن للعروس أخا غائبا ، فذهب ، وطوى ورقة ولفّها ، كأنها كتاب . وكتب عليها : من الأخ إلى العروس . ثم عاد وقال : معى كتاب من أخى العروس إلى العروس . فأذنوا له ، فدخل ، وأعطاهم الكتاب . فقالوا : مارأينا مثل هذا العنوان ، ليس به اسم أحد . فقال : وأعجب من هذا أنه ليس فى باطنه حرف واحد ، لأنه كان مستعجلا. فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال عليهم لدخوله ، فقبلوه[2] .

* جاء رجل من جيران جحا إليه بكتاب ليقرأه له ، فعسرت قراءته عليه ، ولم يعرف شيئا مما فيه . فقال له جحا : من أين جاءك هذا الكتاب؟ فقال : من مدينة حلب . قال جحا : صدقت ، لأجل هذا ماعرفت أن أقرأه ، لأنى لا أعرف القراءة بالحلبى[3] .

* باع مخاس غلاما لأعرابى ، فأراد أن يتبرأ من عيبه ، فقال : أعلم أنه يبول فى الفراش . قال الأعرابى : إن وجد فراشا فليبل فيه[4] .

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٤٠ (٢) التطفيل ٥٩ (٣) مضحك العبوس ٣٩
(٤) البيان والتبيين ٤ / ٩

* أرسل حجا أبوه ليشترى له رأسا مشويا ، فاشتراه ، وجلس فى الطريق ، فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ولحم رأسه . وحمل باقيه إلى أبيه . فقال له أبوه: ويحك، ما هذا الذى جئت به ؟ قال : الرأس الذى طلبته . قال . فأين عيناه ؟ قال : كان أعمى . قال : فأين أذناه ؟ قال : كان أصم . قال : فأين لسانه ؟ قال : كان أبكم . قال : فأين لحم رأسه ؟ قال : كان أورع . قال : ويحك ، رُدَّه وخذ بدله . قال حجا لقد باعه صاحبه لى بريئا من كل عيب[1] .

* سأل رجل حجا : أيهما أفضل ياحجا ، المشى خلف الجنازة أم أمامها ؟ قال : لا تكن على النعش ، وامش حيث شئت .

* قيل لبعض أصحاب النبيذ : وجّهتُ إليك رسولا عشية أمس، فلم يجدك . فقال : ذاك وقت لا أجد فيه نفسى[2] .

* قدم أعرابى من أهل البادية على رجل من الحضر ، فأضافه وكان عند الحضرى دجاج كثير ، وله امرأة وابنان وبنتان منها . فقال الحضرى لامرأته: اطبخى دجاجة وقدّميها لنتغدى بها . فلما جاء الغداء جلسوا جميعا ، ودفع الحضرى الدجاجة إلى ضيفه ، وقال : اقسمها بيننا وهو يريد بذلك أن يضحكوا منه . فقال البدوى : أنا لا أحسن القسمة . فألح عليه الحضرى ، فأخذ البدوى رأس الدجاجة فقطعه ، ثم ناوله للحضرى وقال : الرأس للرئيس . ثم قطع الجناحين وقال : ابناك جناحاك والجناحان لهما . ثم قطع الساقين وقال : وبنتاك ساقاك ، والساقان لهما . ثم قطع الزِّمكّى وقال : العَجزُ للعجوز ، ثم أخذ الباقى لنفسه وقال : الزَّوْر للزائر . وبذلك أخذ الدجاجة كلها .

فلما كان الغد قال الحضرى لامرأته : اطبخى لنا خمس دجاجات . فلما حضر

(١) أخبار الحمقى ٢٧ (٢) نهاية الأرب ٤/١٧

الغداء قال للبدوى : اقسم بيننا . فقال البدوى : أظنكم قد تضايقتم من قسمتى أمس . قالوا : لا ، فاقسم بيننا . فقال : شفعا أو وترا ؟ قالوا : وترا ، فقال : نعم . ونظر إلى صاحب الدار وقال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ورمى لهما بدجاجة . ثم قال للبنتين : وأنتما ودجاجة ثلاثة ، ورمى لهما بها . وقال : وأنا ودجاجتان ثلاثة . فلما رآهم ينظرون إليه فى دهشة ، وينظرون إلى دجاجتيه قال : لماذا تنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمتى ، إن الوتر لا يجىء إلا هكذا . قالوا : فاقسمها شفعا . فقبض الدجاجات إليه ، ثم قال لصاحب الدار : أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى إليهم بدجاجة وامرأتك وبنتاك ودجاجة أربعة ورمى إليهن بدجاجة . ثم قال : أنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضم إليه ثلاث دجاجات . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله أنت فهمتها لى[١] .

* سمع بعضهم رجلا يقرأ « الأكراد أشد كفرا ونفاقا » فقال له : ويحك إنما هى « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » فقال : كلهم يقطعون الطريق ، عليهم لعنة الله وسُخطه[٢] :

* سمع بعضهم قارئا يقرأ « غُلِبتْ الترك فى أدنى الأرض » فقال له : إنما هى « غلبت الروم فى أدنى الأرض » فقال القارىء : كلهم أعداؤنا ، قاتلهم الله[٣] .

* شرب الأفيشر فى حانوت خمار حتى نفد مامعه ، ثم شرب بثيابه ، وبقى عريانا . فجلس فى تبن يستدفىء به . فمر رجل يبحث عن بعير له ضل . فقال الأفيشر : اللهم اردد عليه بعيره ، واحفظ علينا . قال الخمار : سَخِنَتْ عينك . أى شىء يحفظ عليك ربك ؟ قال الأفيشر : هذا التبن ، لئلا يأخذه صاحبه ، فأهلك من البرد[٤] .

(١) الأذكياء ٧٠
(٢) العرر ٢٠٤ (٣) المستطرف ٢/٢٩٩ (٤) نهاية الأرب ٤/١٧

* قَدِم رجل من فارس على صاحب له فقال له ؟ قد كنتَ عند الأمير ، فأيَّ شيء ولاّك ؟ قال : ولاّني وفاه[١] .

* صلّى أعرابى خلف إمام ، فقرأ الامام : « فلن أبرَحَ الأرض حتى يأذن لى أبى » ووقف عندها ، وجعل يرددها كثيرا ، حتى ملّ الأعرابى . فقال . يافقيه ، إذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل ، نبيت نحن وقوفا إلى الصباح . وتركه وانصرف[٢] .

* صلى أعرابى خلف إمام ، فقرأ « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه » ووقف عندها ، وجعل يرددها ، حتى سئم الأعرابى من الوقوف . فقال له : أرسل غيره ، يرحمك الله ، وأرحنا ، وأرح نفسك[٣] .

* حضر أعرابى طعام أمير ، فأكل معه . فلما أحضِر الفالوذج قال له الأمير : إن أكلتَ من هذا خَرَزْتُ رأسك . فنظر الأعرابى مَلِيّاً ، ثم رأى ترك الفالوذج حسارة ، فمد يده إليه ، وقال : أوصيك بصِبْيَنى خيراً[٤] .

* قيل لأعرابى : ما اسم المرق عندكم ؟ قال : السِّخِين . قال له : وإذا بَرَد ؟ قال : لا ندعه حتى يَبْرُد[٥] .

* كان للخليفة الفاطمى العزيز بالله حمام يسابق به ، وكان لوزيره يعقوب ابن كِلِّس حمام للسباق أيضا ، وحدث أن سابق حمام الوزير حمام الخليفة فسبقه ، وبعث الخليفة إلى وزيره يسأله عن نتيجة السباق ، فكره الوزير أن يكتب إليه بأن حمامه قد سبق حمام الخليفة ، ولم يدر كيف يكنى عن ذلك ، ويحسن التعليل . وكان بالديوان كاتب لبق ، فقال للوزير : اكتب إليه :

---

(١) البيان والتبيين ٦/٤ (٢) المستطرف ٢١٥/٢ (٣) المستطرف ٢١٥/٢
(٤) محاضرات الأدباء ٣٩٣/١ (٥) البيان والتبيين ٩/٤

يا أيها الملك الذى جَدُّه ... لكل حد ماهر غالبُ
طائرك السابق لكنه ... أتىَ وفى خدمته حاجبُ

فاستحسن الوزير ذلك ، وكافأ الكاتب ، وكتب إلى العزيز بالبيتين فسرّه[١] .

* ركب إمام العبد يوما عربة ، وذهب بها إلى بيته . ولم تكن معه نقود . فلما وصلت به العربة إلى البيت دخل ، ثم أطلّ منها النافذة وقال للحودى : اذهب ياهذا ، فإن سيدى لا يريد أن يركب .

* لما قامت الأحزاب فى مطلع الحركة الوطنية ، وانقسم الشعب إلى فريق مع سعد وغلول ، وفريق مع عدلى يكن ، سأل أحد الأصدقاء محمد البابلى على سبيل الفكاهة : قل لى يا محمد ، أنت سعدست ولا عدلست . فقال البابلى : أنا فلّست[٢]

* أحيل موظف إلى المعاش ، فكان يتردد فى كل يوم على محمد البابلى ويشكو حاله ، ويتألم من إحالته إلى المعاش ، فكان البابلى يواسيه ويعينه . فلما أفرط فى تردده وشكواه ، قال له البابلى : قل لى يا أخى ، هم أحالوك إلى المعاش أم حالوك على ؟[٣] .

* سأل حافظ إبراهيم محمد إمام العبد (وكان أسود اللون) : لمادا تتزوج ؟ فقال له :

ياخليلى وأنت حبر خليل ... لا تَلُمْ راهبا بغير دليل
أنا ليلٌ وكل حسناء شمسٌ ... فاجتماعى بها من المستحيل[٤]

---

(١) الأذكياء ٤٧
(٢) فلاسفه وصعاليك
(٣) فلاسفه وصعاليك
(٤) المرجع السابق

* ربط محمد إمام العبد فى عنقه رباطا أحمر (كرافته) وكان هو أسود اللون فقال له أحد أصحابه : لماذا تضع رباطا أحمر فى عنقك ؟ فأجابه بقوله : أردت أن يعرف الناس أين ينتهى جسمى وأين يبدأ رأسى .

* ذهب رجل إلى صيدلى بالإسكندرية ، وطلب منه دواء يطيل العمر ، فأعطاه الصيدلى دواء ، وقال له : إنه يطيل العمر ثلاثمائة سنة . فدهش الرجل ولم يصدق ما سمع . واتجه إلى خادم فى الصيدلية ، وسأله : صحيح هـذا الدواء يطيل العمر ٣٠٠ سنة ؟ .

فقال له الخادم : لست أعرف بالضبط ، لأنى هنا منذ ١٠٠ سنة فقط .

---

*

*

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	١
الغفلة والتغافل	٢٢
التناقض	٣٧
اللعب بالألفاظ	٥٠
التهكم بالعيوب الجسدية	٥٨
التهكم بالعيوب الخلقية والنفسية	٧٢
تهكم الشخص بنفسه	١٠٣
الحذلقة	١٢٥
الدعابة	١٣١
التخلص الفكه	١٥٩

المراجع

سنذكرها فى آخر الجزء الثانى

*

مؤلفات الجمعية الثقافية المصرية

بإشراف الأستاذ عمر الدسوقى
رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

صدر منها :

١ — قصة الملكية فى العالم : تأليف الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور حسن سعفان

٢ — الرومانتيكية : من سلسلة المذاهب الأدبية الكبرى
تأليف الدكتور محمد غنيمى هلال

٣ — زرادشت : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الأستاذ حامد عبد القادر

٤ — كونفشيوس : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور حسن سعفان

٥ — الفكاهة فى الأدب العربى ح ١ : من الأدب والنقد
تأليف الدكتور أحمد الحوفى

وسيصدر قريباً :

١ — قصة الزواج والعزوبة فى العالم : من سلسلة حياة المجتمعات
تأليف الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٢ — تاريخ الفكر الاقتصادى : من سلسلة الاقتصاد السياسى
تأليف الدكتور لبيب شقير

٣ — بين القانون الرومانى والشريعة الإسلامية : من سلسلة (دراسات دينية)
تأليف الدكتور صوفى حسين

٤ — مونتسكيو : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور حسن سعفان

٥ — الكلاسيكية : من سلسلة المذاهب الأدبية الكبرى :
تأليف الدكتور محمد غنيمى هلال

٦ — الفكاهة فى الأدب العربى ج ٢ : من الأدب والنقد
تأليف الدكتور أحمد الحوفى

٧ — هوميروس : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور محمد صقر خفاجه

٨ — بوذا : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الأستاذ حامد عبد القادر

٩ — سوريا المعاصرة : من سلسلة حياة المجتمعات
تأليف الدكتور زكى المحاسنى

١٠ — الأدب السورى المعاصر : من سلسلة الأدب والنقد
تأليف السيدة وداد سكاكينى

١١ — المعتزلة : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

١٢ — داروين : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور سيد بدوى

١٣ — سبنسر : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور سيد بدوى

١٤ — فرويد : من سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب
تأليف الدكتور عماد الدين اسماعيل